الاستبداد الديني

د. محمد بريش

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاستبداد الديني

أو كشف اللثام: عن المدونة البابوية للمحظور من الفكر والكلام

حفريات معرفية في: أصول الفكر المسيحي المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم

يثير عنوان هذا البحث مجموعة أسئلة تتبادر للذهن تلقائيا:

- هل هناك شيء اسمه "الاستبداد الديني"؟
- أليس هذا المصطلح مشوه التركيب؟
- وهل في الدين أصلا استبداد؟
- وهل يوجد سواء في تاريخنا أو عصرنا شخصيات أو هيئات دينية مستبدة؟
- وهل يزعم أحد ممن يوثق به بوجود فقه مستبد؟ ...

أسئلة لاشك آخذة بلب القارئ لعنوان البحث لأول وهلة، ودافعة إياه للعمق في التساؤل رغبة في معرفة ما هو هذا اللون من الاستبداد، ومن هي الجهة المستبدة بالدين؟ وهل يجرأ اليوم باحث على أن ينعت "المؤسسة الدينية" أو "رجل الدين" بالاستبداد مستندا إلى دلائل وقرائن موضوعية؟

أسئلة لا ريب أنها تتفاعل في ذهن القارئ، وتتوالد بكثرة، دون أن يجد لها عبر صفحات البحث سبيلا، خاصة إذا كان شغوفا بالأجوبة النهائية، والآراء الفاصلة في الموقف الفكري والسياسي، رغم أن الموضوع وهو في طور البحث لا ينبغي أن يخرج عن إطاره العلمي، وأن تظل كل نتائجه نسبية حسب رؤية المجتمعات – وما فيها من المؤسسات والهيئات والجمعيات – للحياة والمجتمع تاريخا وواقعا ومآلا.

والغريب أنه مهما بلغت حدة التساؤل، وارتفعت درجة التفاعل مع المصطلح المركب قبولا أو اعتراضا، فالكل مجمع على أن مجرد وجود أضعف نسبة للاستبداد بالأسرة أو المؤسسة أو المجتمع يعتبر مخالفة صريحة لتعاليم وأحكام الدين، ليس فقط في الإسلام، بل في معظم ما نعرفه من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأديان؛ والكل موافق على أن الاستبداد لا ينتج إلا عن تعطيل للدين جزئيا أو كليا في الحي ـاة والمجتمع.

لكن ألف الناس أن يسمعوا عن الاستبداد في الحكم والسياسة خاصة، فظل مفهـ ـوم الاسـ ـتبداد حكرا على الحقول السياسية عامة، واشتهر على الألسنة مصطلح "الاستبداد السياسي"، بل كلما ذكر الاستبداد في أي خطاب، فلا يراد منه غالبا إلا هذا اللون اللصيق بالحكم وأنظمته، مع العلم أنه قبل أن يكون الاستبداد نتيجة لغلو أو تهاون في الشأن السياسي، فهو أصلا ومنطلقا غلـ ـو أو تهاون في الشأن الديني.

فلا يمكن للمتتبع لحركة وتطور واقعنا الحالي أن ينكر أن بعض الهيئات والجمعيات والأحـ ـزاب، سواء منها الدينية أو السياسية، تمارس عن علم أو غير علم نوعا من الاستبداد الفكري والثقـ ـافي ذي الطابع الديني، لكن الكاتب رأى لأسباب منهجية وموضوعية، أن ينخرط في البحث ضـ ـمن حدود التنقيب عن جذور الصراع الديني العلماني في عصر النهضة بأوروبا كي يقدم أنموذجا ثريا عن الاستبداد الديني، ليس فرارا من الواقع، ولكن اقتضت منهجية البحث الميداني والتحليلـ ـي إضفاء الأولوية على الاهتمام بجذور وأسباب الظواهر الاجتماعية والفكرية والسياسية، والبحث عن أصولها التاريخية، قبل الغوص في تطوراتها المعاصرة.

كما أن تحديد المجال زمانا ومكانا في هذا الموضوع الشائك يقتضـ ـي اختيـ ـارا وترتيبـ ـا يسـ ـمح باستخلاص نتائج مرضية وثرية يمكن الاستفادة منها في معالجة الواقع المعاصر الفسيح الأرجـ ـاء الكبير التعقيد. فليست الغاية الحصول على دلائل وقرائن لاتهام هذا الطرف أو ذاك من السلطة الدينية أو الهيئات والشخصيات المنتسبة للدين بممارسة الاستبداد، ولكن ظلت غايـ ـة الباحـ ـث إقناع القارئ عبر أنموذج تاريخي بأن الاستبداد الديني هو الأخ التوأم للاستبداد السياسـ ـي، إن لم يكن هو الأم له رحما أو رضاعة.

ولهذا لم يمنع الباحث نفسه عبر بعض المقاربات الموضوعية والمقارنات العلمية من عـ ـرض نتـ ـائج ودروس بحثه من خلال إنزالها على واقعنا الإسلامي المعاصر، رغم أن العينة المدروسة تخص دينـ ـا آخر وثقافة أخرى، داعيا القارئ بالصبر على تحمل استعمال مصطلحات ومفاهيم هي من صميم علم الاجتماع الديني، قد تبدو غير مألوفة في الخطاب العربي الإسلامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويزعم الباحث أن المقاربة البحثية التي قام بها لا تخلو من فوائد، سواء من حيث الدرس التاريخي، أو التناول المنهجي، أو التنقيب عن جذور تيارات فكرية وثقافية وسياسية سـ ـائدة في عصـ ـرنا الحالي، واعدا بأن هذا البحث ستتلوه دراسات أخرى بغية نقد موضوعي لما اصطلح عليه عنـ ـد بعض الباحثين بـ . "العقل الديني"، وتنقيبا عبر حفريات علمية متأنية عن صلة الفكـ ـر "الغـ ـربي" الحديث بالفكر الكنسي وتطوراته المعاصرة.

كما يزعم أن الانسياق المعاصر نحو الحوار مع الآخر لا يمكن أن يكون حواراحقيقا منتجا لافتقاره للقوة المعرفية والثقافية والفكرية بالذات وبالآخر، وحاجته إلى العلم الراسـ ـخ بتـ ـاريخ التطـ ـور الفكري وما يجري في ساحات التدافع الثقافي بين أطراف متنوعة من الذات وجهات متعددة مـ ـن الآخر. فالآخر أشكال وأنواع، ولكل منها أنصار وأتباع، ومعرفته تشريحا، ودراسـ ـته تفصـ ـيلا، تاريخا وحالا ومآلا، من أعز مواد الحوار، وهي أمور لا تشترى فضلا عن أن تباع!

بل يجزم ولا يزعم أن المفتقر للحوار مع أطراف ذاته، ضعيف لا محالة أمام خصمه، هزيل الموقف حين الحوار مع غيره، عديم القدرة للاستقلال بقراره، فمثله قد يرحب به لقلة فهمـ ـه، ويـ ـدعى للجلوس في المقاعد الأولى للتيقن من يسر تسخيره وسهولة استخدامه، ولكن الحقيقة الناصعة أنه غالبا ما يدعى لدورات تدريبية في التلمذة على أيدي الداعي والإذعان له، والإسراع بتنفيذ مـ ـا يرضيه وحسن الاستجابة له.

فأصحاب الحق يدركون أن الله يدافع عن الذين آمنوا فلا يمتنعون عن أي دعوة للسلم، وأولـ ـو النهى لا يترددون في الاستفادة من كافة الموائد التي تسمح بالاستزادة من العلم، لكن حين يـ ـأتي الحوار من السفارة لا من الجامعة، ومن جهات سياسية لا من المراكز العلمية، فالتجربة دلت على أنه في الغالب تطبيع مع ما تمنعت عنه الذات من أفكار، وتمهيد لصياغة مستقبلات غدت ممكنـ ـة محورها تهميش الصوت الراشد وتبويئ صاحب اللغو مراكز القرار.

ذلك، وقد علمنا الوحي وأنبأنا التاريخ أن صاحب اللغو كان للخسارة حليفا، وحسبنا لمزيد من الأمل في أن تكون لثقافانا النصرة، ويكون الحوار منا مفتوحا لأي كان مع العزة والقوة، أن كيد الشيطان كان على الدوام ضعيفا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المدخل

يكثر الحديث في ثقافتنا وأدبياتنا، منذ عقود وإلى اليوم، أن العلمانية بأوروبا هي نتاج ثورة الشعوب الأوروبية على الكنيسة، مع ابتسار واضح لدور رجال الدين المسيحي من داخل الكنيسة نفسها في بلورة الفكر العلماني، وتجاهل لجهود ومواقف عديد من المتدينين – المشاركين بقوة في برامج تنشيط العمل الكنسي – في صياغة الفكر الحداثي، وتغاض عن ما قام به أولئك الرجال جميعا من ثورة ليبرالية ثقافية وفكرية في وجه الاستبداد الكنسي.

فناقد العقل المسيحي[1]، وخاصة في نصوصه البابوية ومواقف إداراته الكنسية، والمتتبع لتطور فكره وثقافته في الأوساط الأوروبية ونواديها الثقافية والفكرية، والمحلل لما يتحرك ويتوالد بجامعاته ومنابره السياسية من فلسفات وآراء، منذ الاحتكاك بفكر الأندلس الإسلامي إلى أواخر القرن العشرين الميلادي، مرورا بالثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، والثورة الليبرالية التي اشتدت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، يلاحظ أن ثقافة قوية وفكرا مستنيرا – نسبة لما كانت عليه الأوضاع الثقافية والسياسية وقتئذ – قد ظلا سائدين في المجتمع الأوروبي بفضل

---

(١) كان كاتب هذه السطور قد سجل نفسه لدى إحدى الجامعات الأوروبية للقيام ببحث في إطار الدكتوراه بعنوان: "نقد العقل المسيحي: حفريات معرفية في تطور الفكر الكنسي" حين مقامه كخبير غير متفرغ بالمجموعة الأوروبية وعمله كمستشار ثقافي منتدبا من حكومة بلده (المغرب) ببروكسيل، إلا أن إدارة تلك الجامعة قد أتلفت خطأ أو سهوا أحد الملفات الإدارية، فعمد الكاتب – لخصوصية الموضوع وخطورته – إلى سحب تسجيله من تلك الجامعة.

ولم يسارع الكاتب إلى نشر ما استنبطه من دراساته لذلك الفكر في مراجعه الأصلية منذ سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م إلا بعدما قام برحلات متعددة للمراكز والإدارات الدينية المسيحية، بما فيها الفاتيكان، متتبعا أنشطتها، ومحتكا بفكر وثقافة باحثيها ومثقفيها، منكبا على قراءة العديد من المراجع التاريخية القديمة والمعاصرة حول الفكر المسيحي، وخاصة منه الكاثوليكي الذي يعتبر الأكثر إنتاجا فيما يخص العلاقة بالإسلام، مما سمح له باكتساب رؤية شبه شمولية لمسار تطور الفكر المسيحي المعاصر، خاصة في علاقاته مع الديانات الأخرى، وبالأخص اليهودية والإسلام، ومدى تأثيره وتأثره أوروبيا وعالميا بالإيديولوجيات المعاصرة. ويعتبر هذا المقال أول ما يصدر عن الكاتب في الموضوع، رغم خوضه غمار البحث والنشر منذ عشرين سنة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عطاء ومساهمة العديد من أتباع الكنيسة المثقفين – والمتحررين نسبيا – في مجالات العلم والفكر والثقافة، على اختلاف مذاهبهم العقدية ومشاربهم الإيديولوجية.

وتجلى عطاء أولئك الثوار المسيحيين الفكري والثقافي في شكل كتب ومنشورات ومجلات ودروس ومحاضرات، مثل ما هو الشأن بالنسبة للمساهمات الفلسفية والفكرية والثقافية الأخرى، مضيفا لبنة أساسية لما يرمز إليه في الفكر الغربي المعاصر بفلسفة الأنوار، والتي تعد ثورة الإصلاح الكنسي في القرن السادس عشر الدافع الأساس لانبثاقها وانتشارها.

بعض تلك الإنتاجات حمل اسم صاحبه، حيث فقد بعد إصدارها إما مواقع سلطة في الهرم الكنسي، أو مكانة في بلاطها السلطوي، أو تقديرا متميزا لدوره الديني أو التربوي أو الاجتماعي؛ بل كثيرا ما نجده يعاني من جرائها متاعب ومصاعب دفعت إلى غضب البابا ومضايقات من لدن رجال السلطة الدينية المحلية والمركزية، حتى إننا لنجد من هؤلاء من اضطرته الضغوط والإكراهات إلى العدول عن آرائه أو توقيف نشراته أو مجلته.

وبعضها حمل اسما مستعارا أو صدر بدون اسم، كما هو حال مؤلفات ومنشورات العديد من المثقفين والمفكرين والفلاسفة زمانئذ، علما أنه إلى عهد قريب، كان لا يصدر الكتاب للعموم في الوسط الكاثوليكي إلا بعد موافقة الإدارات الدينية الرسمية، وصدور ترخيص موقع من طرف الكنيسة المحلية أو السلطة الكنسية المركزية.

ففي فرنسا مثلا، وهي مهد الثورة الليبرالية والوقوف في وجه سلطة الكنيسة، لا ينكر فضل منشورات ومجلات قوية مثل مجلة "الزمن الجديد" (**L'ère Nouvelle**)، ومجلة "المجلة الفرنسية" (**La Revue Française**)، ومجلة "المراسل" (**Le Correspondant**)، ومجلة "المستقبل" (**L'avenir**)، وغيرها من المجلات التي كانت تستقطب جمهورا هاما من القراء، وكان لها التأثير الكبير داخل الوسط الثقافي والفكري الأوروبي، خاصة داخل الكنيسة حيث جمهورها الصامت والواسع، يغذيها ويشجع على أفكارها مثقفون معروفون بولائهم للدين المسيحي مثل "لامينوي" (**Lamennais**)، و"مونتالومبير" (**Montalembert**)، و"لاكوردير" (**Lacordaire**)، وغيرهم من الذين ساهموا جميعا في نشر فكر ليبرالي قوي في وجه الاستبداد الكنسي وتحجر الفكر المسيحي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التقليدي، وكان جمهورهم الكبير قراء ومتعاطفين أغلبه من داخل الصف المتـ ـدين، بـ ـل كـ ـان لفكرهم بحكم انتمائهم الديني صدى كبير في أوساط المخلصين من أتباع الديانة المسيحية.

فالتاريخ المعاصر يشهد بأن العديد من رجال الدين المسيحيين قد ناضلوا ضد الاستبداد الـ ـديني والطغيان الفكري للإدارات الدينية المركزية بشتى الوسائل المتاحة لهم، إما عبر نشـ ـر الأفكـ ـار وتنوير الرأي العام كما ذكرنا، وإما عبر منابر التأثير الاجتماعي والسياسي بمؤسسـ ـات المجتمـ ـع المدني ذات الطابع الديني، مثل "الوكالة العامة للدفاع عـ ـن الحريـ ـة الدينيـ ـة" (Agence Générale pour la Défense de la Liberté Religieuse)[٢]، هادفين بشكل مباشر أو غير مباشر إلى إضعاف سـ ـلطة البابـ ـا المدنيـ ـة والدينية، وتمكين أفراد المجتمع من الحرية بمختلف أبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية، وتأهيل رجال الدين المسيحي أساسا إلى الإسهام في خدمة تلك الحرية، ودفعهم لانتزاع مراتب اجتماعية ودينية وسياسية لم تكن لتتاح لهم دون الحد من جبروت الإدارات الدينية الرسمية.

ولا شك أن للثورة الفرنسية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صاحبها الأثر الكبير في بلورة الفكر الحداثي، وكسبه المعارك في وجه الفكر الكنسي التقليدي، لكننا حين التمعن في أحـ ـداث التاريخ، ودراسة حركة التيارات المتدافعة من القرن السابع عشر الميلادي إلى مطلـ ـع القـ ـرن العشرين، نجد أثرا هاما لرجال الدين المسيحيين في انتشار الفكر المضاد لسلطة الكنيسة، ساهم في اندلاع الثورة الفرنسية نفسها، ويسر السبل أمامها، بل أثر في فلاسفتها وتأثر بها، تنظيرا وتحضيرا وتأطيرا[٣].

ولكن الشيء الذي ساهم في اشتداد حدة المواجهة بين الفكر الحداثي والفكر الكنسي الرسـ ـمي

---

(٢) نشرت مجلة "المستقبل" (L'avenir)، التي كان يرأسها الباحث الكـ ـاثوليكي الليـ ـبرالي "لاموني" (Lamennais) في عددها بتاريخ ١٨ ديسـ ـمبر ١٨٣٠ القـ ـانون الأساسـ ـي (الميثاق) لهذه الوكالة، فليرجع إليه من يريد المزيد من التفصيل والبحث.

(٣) راجع مقدمة دراسة وثائقية حول "لائحة المقولات والأفكار المحظورة" (وهي الـ ـتي سميناهـ ـا بالمدونة البابوية للمحظور من الفكر والكلام)، قام بهـ ـا الراهـ ـب بيـ ـار هـ ـورات (Pierre Hourat)، وهي دراسة منشورة في ثلاث كتيبات بباريس سنة ١٩٠٩، الناشر مكتبة بلـ ـود وشركاؤه، الكتاب الأول، ص ٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على الصعيد الثقافي والفكري، وخاصة على الصعيد العقدي، وأعطى دفعات قوية للعلمانية وانتشار خطابها وأفكارها، وظل نسيا منسيا في كتبنا ومراجعنا العربية، هو صدور لائحة بابوية للمقولات والأفكار الممنوع على أتباع الكاثوليكية التلفظ بها، اقتناعا بمحتواها أو تصديقا لأفكارها، فضلا عن الانخراط في الترويج لآراء ونظريات تتبنى أطروحاتها أو تنساق وراء فلسفتها.

وجاء هذا الإصدار ضمن ملحق للرسالة البابوية الدائرية والتوجيهية بتاريخ ٨ ديسمبر ١٨٦٤ والمعنونة "كوانتا كورا (بأي قدر)" (**Cura Quanta**)[٤]، ومضمون هذا الملحق لائحة ضمت ثمانين (٨٠) مقولة أو فكرة تعتبر في نظر الكنيسة خطيئة وكبيرة سبق أن نصت على ضلالها رسائل وخطب سابقة لباباوات الكنيسة، بما فيهم البابا بيا التاسع الذي أصدر الرسالة المعنية وملحقها المثير للجدل.

ونحن لا ندعي بأنه مثير للجدل بناء على دراستنا الوثائقية واستقرائنا التاريخي فحسب، ولكن يشاطرنا الرأي العديد من أتباع المسيحية أنفسهم، ومثقفون بارزون من داخل الصف الكنسي الرسمي، الأقدمون والمعاصرون، والذين شهدوا بأن نشر تلك اللائحة كان وقودا لاندلاع انتقادات كبرى مكثفة وقوية ولاذعة للسلطة الكنسية الكاثوليكية وللكرسي البابوي وإداراته المركزية والمحلية، مازالت آثارها وردود فعلها تترى إلى أزمنتنا المعاصرة.

بل ساهم ذلك الإصدار في تقوية صفوف الجانب العلماني والتيار الحداثي، ومكنهما من كسب

---

(٤) جرت عادة الكنيسة أن تسمي القرارات والرسائل والتوجيهات الصادرة عنها، وخاصة عن البابا، بالكلمات الأولى لنصها اللاتيني. وكانت افتتاحية الرسالة الدائرية والتوجيهية "بأي قدر" (**encyclique Quanta Cura**) موضوع دراستنا إشادة اعتادها الباباوات في مدخل رسائلهم التوجيهية بمن سبقوهم اعتلاء الكرسي البابوي، حيث جاءت بداية مدخلها كالآتي: "بأي قدر من العناية والصرامة الرسولية أدى أسلافنا الأحبار الرومان رسالتهم التي خولهم إياها السيد المسيح نفسه..."، فكانت تسمية النص تلقائيا: "بأي قدر" (**Quanta Cura**).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مواقع هامة داخل صفوف الحركات الدينية المستنيرة من جهة، وإضعاف سلطة الكنيسة الدينية والمدنية من جهة أخرى، وخاصة على صعيد الفكر والثقافة والتربية والرعاية الاجتماعية.

فمثلا قال الكاتب جوزيف لوكلير (Joseph Lecler) في مجلة "دراسات" (Etudes) المسيحية، والمنشور في عددها لشهر يونيو ١٩٦٤ بمناسبة مرور مائة سنة على "لائحة المقولات والأفكار المحظورة" (السيلابوس: syllabus)، يدلنا مثل غيره من الأقوال المماثلة الصادرة عن رجال الدين المسيحي على خطورة تلك اللائحة، وحجم أثرها التقليدي والمتزمت على الفكر والثقافة المسيحية، منذ صدورها وإلى اليوم، وإن كان "مجمع الفاتيكان الثاني" (Vatican II concile) ببيانه حول الحرية الدينية (Dignatis Personae Humanae) قد أدار ظهره لهذه الوثيقة البابوية التي ظلت سيفا مسلطا بمثابة القانون الحاضر الغائب دهرا طويلا، وأصدر ما يعاكسها تماما من حيث الجوهر والأهداف والتعامل مع المرتكزات العلمانية التي انغرست في الثقافة الأوروبية والفكر الأوروبي، بل تجذرت تجذرا قويا في الفكر الكنسي نفسه والثقافة المسيحية المعاصرة.

يقول هذا الكاتب:

"لم يكن لأي وثيقة بابوية صدى مثل الذي كان للسيلابوس "اللائحة". فهذه المدونة للثمانين مقترحا صدرت كملحق للرسالة الدائرية البابوية كوانتا كورا (بأي قدر) من طرف البابا بيا التاسع بتاريخ ٨ ديسمبر ١٨٦٤، ومباشرة بعد صدوره أثار هذا السيلابوس في العالم بأسره، وفي كافة الأوساط – حتى غير المؤمنة منها – ردود فعل قوية، وانتقادات رائعة، مازال صداها ممتدا إلى اليوم. فهذا اللفظ اللاتيني البسيط الذي يعني "فهرست" قد أضحى له الوقع السحري، ومازال إلى اليوم يغذي فكر وفلسفة نقد السلطة الكنسية حتى بين المسيحيين أنفسهم، ودون الابتعاد عن إثارة بعض القلق"(٥).

كما أننا نجد – إبان انعقاد المجمع المسكوني الأخير (مجمع الفاتيكان الثاني) في مطلع الستينات – أن العديد من المؤسسات والمراكز الكاثوليكية كانت تقوم بأبحاث ودراسات تمهد للقرار الذي أصدرته سلطة الكنيسة الكاثوليكية في شكل بيان صادر عن المجمع حول الحرية الدينية، والذي ألغى ضمنيا السيلابوس وما ترتب عليه من قوانين ومواقف وتوجهات.

---

(٥) مجلة "دراسات" (Etudes)، يونيو ١٩٦٤، ص ٧٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من هذه المراكز "المركز الكاثوليكي للمفكرين الفرنسيين" (**Centre Catholique des Intellectuels de France**)، والذي أصدر كتابا ضمن سلسلته "أبحاث ومناقشات" حول "الحرية الدينية" جاء في مطلعه دراسة بعنوان: "الحرية الدينية وسيلابوس ١٨٦٤ في زمننا اليوم"، ورد فيها ما يلي:

"لم يكن السيلابوس أبدا مقدما بشكل رسمي على أنه وثيقة لها حالة من العصمة، أو بمثابة نص دال على حقائق لا سبيل لتغييرها. بل يمكن التصريح بعد دراسة أنه يعبر عن زلة قدم الكرسي المقدس، دون أن تهتز قواعد المنظومة الكاثوليكية لتلك الزلة، مثل البابا هونوريوس[٦] الذي يرشدنا المؤرخون بأنه قد دخل عهد الضلالة أو قريبا من ذلك"[٧].

كما ذهب بعض المؤرخين وفقهاء الكنيسة إلى أن الرسالة وملحقها هو كتاب خاص صادر عن كتابة الدولة بالفاتيكان، جمع نصوصه المتفرقة في رسائل البابا وبعض أسلافه الأقربين شخص مجهول الهوية.

---

(٦) يعمد الذين يريدون انتقاد الكنيسة في تنصيصها وادعائها عصمة البابا تذكيرها بلعنتها في المجمع المسكوني القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ للبابا هونوريوس الأول الذي تبنى عقيدة المونوتلزمية (**Monothélisme**)، وهي عقيدة ابتكرها سنة ٦١٦ ميلادية بطريق القسطنطينية "سرج" (**Serge**) بمساندة الإمبراطور هرقل الأول، وذلك خلافا لما جاء في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ ميلادية، حيث نص على أن المسيح له ذات إلهية وذات إنسانية . ذلك أن الإمبراطور، سعيا منه لجمع المسيحيين، رأى أن يجمع بين المقرين بما وصل إليه مجمع خلقدونية وبين الرافضين له في قول وسط هو ما عبر عنه بالمونوتلزمية. فكان أن أقرها البابا هونوريوس الأول بعد أن انتشرت في الإسكندرية خاصة، رغبة منه في توحيد صفوف أتباعه في وجه الإسلام إذ عاصر هذا البابا فترة الرسول عليه الصلاة والسلام. إلا أن الكنيسة طردته وأقحمته ضمن اللائحة السوداء، مدرجة إياه بقرار من المجمع المسكوني القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠ ضمن المغضوب عليهم.

(٧) **Débats du Centre Catholique des Recherches et Intellectuels de France, "Essais sur la liberté religieuse", Cahier n° ٥٠, mars ١٩٦٥, Librairie Athène Fayard.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل ذلك لينفوا عن الكنيسة ورطتها التي وقعت فيها، وليجدوا لأنفسهم حلا في قولهم أن ما يصدر عن البابا هو معصوم لأنه صادر تحت رعاية السيد المسيح وبحضور أو دعم الروح القدس، وكون تطور الفكر الكنسي لم يجد بدا في العقود التالية من التنصل من توجيهات ملحق تلك الرسالة القنبلة، بل التنكر الكلي له ونسيان ذكره ومحو أثره.

فعادة ما يحتفل في كل عشرية بالرسالة ذات الشهرة مثل ما هو الحال بالنسبة للرسالة التوجيهية للبابا ليون الثالث عشر **Léon XIII** (الذي تلا البابا بيا التاسع)، والمسماة "ريروم نوفاروم" (**Novarum Encyclique Rerum**) الصادرةبتاريخ ١٥ مايو ١٨٩١، والتي يعدها رجال الكنيسة أول رسالة ذات صبغة اجتماعية إذ خصصت للعناية بقضايا العمال والدفاع عن أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية[٨]، بل مضى القرن ولم نجد في المجلات المسيحية على كثرتها من يشير بالذكر إلى رسالة البابا بيا التاسع وملحقها رغم كونها صدرت دفاعا عن الكنيسة، وسعت لتكون سدا منيعا في وجه الحداثة الزاحفة، حيث رأى فيها معظم رجال الكنيسة بعد أقل من عقدين مصدر قلق على مستقبل المسيحية، وحجة قوية بيد المغرضين لإدانة الكنيسة،

---

(٨) هذه الرسالة التوجيهية تعبر عن تغير جذري في استراتيجية الكنيسة الكاثوليكية حيث استفادت من دروس المواجهة في المرحلة الماضية، ورأت أن تستثمر في الاهتمام بقضايا الشعوب الاقتصادية والاجتماعية بدل الحرص على توسيع سلطة البابا السياسية والمدنية. ومن ذلك التاريخ، والباباوات يصدرون رسائل ذات صبغة اجتماعية احتفالا بذكراها تأكيدا لتلك الاستراتيجية واحتفالا بذلك التوجه الجديد المتمثل الرسالة **Encyclique QUADRAGESIMO ANNO** للبابا بيا الحادي عشر **Pie XI** بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣١ بمناسبة مرور أربعين سنة على إصدار رسالة البابا ليون الثالث عشر، وكذلك الرسالة **Encyclique MATER ET MAGISTRA** الصادرة عن البابا يوحنا الثالث والعشرون **Jean XXIII** بتاريخ ١٥ مايو ١٩٦١ بمناسبة مرور سبعين سنة، ثم الرسالة الصادرة في الذكرى المائة بعنوان **Encyclique CENTESIMUS ANNUS** والصادرة عن البابا الحالي يوحنا بولس الثاني **Jean Paul II** بتاريخ ١ مايو ١٩٩١، واختار هذا البابا تاريخ فاتح مايو وليس ١٥ منه ليقرن بين الذكرى والاحتفال بعيد العمال.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل تصرفوا منذ موت البابا المذكور وإلى اليوم وكأنه ما صدر عن الكنيسة ذلك النص الملغوم ولا نشر.

فتاريخ صدور هذه المدونة يعتبر حدا فاصلا بين عهد كانت تجد فيه سلطة الكنيسة كثيرا من الأنصار ضمن جموع المسيحيين، ووحدة ما في صفوف رجال الدين، وعهد اشتد فيه الانتقاد لها حتى بين صفوف الأتباع والرهبان والأساقفة، وتمكنت فيه الجهات المنادية بالحداثة والعلمانية من نص ديني رسمي يسمح بالنقد اللاذع والتأليب الشعبي على السلطة الكنسية التي هدفت علنا بذلك الإصدار إلى تكميم الأفواه، ومصادرة الأفكار، وتعليب الآراء ضمن قوالب جامدة ومتحجرة.

وليس مثل هذا التصرف بغريب على الفكر الكنسي الرسمي، فمنذ العهود الأولى للمسيحية، وخاصة بعد "مجمع نيقية الأول" سنة ٣٢٥ ميلادية، والذي حدد عقيدة التثليث، واعتبر رأي أريوس من مسيحيي الإسكندرية – التوحيدي نوعا ما – بدعة وضلالة، ظلت رسائل ومراسيم السلطة الدينية المسيحية، وقوانين المجامع المسكونية خاصة، تضم نصوصا ولوائح تحصي البدع والضلالات والأخطاء، مستنكرة لها ولاعنة قائليها ومروجيها، ومصنفة أصحابها ضمن لائحة الضالين والمطرودين من رحمة المسيح.

بل نجد عمل الكنيسة القانوني والفكري منذ القرون الوسطى إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي قد ظل في معظمه مجموعة قوانين ورسائل ومراسيم تشجب وتلعن ما تصفه بالبدع والأخطاء والضلالات المخالفة للعقيدة المسيحية كما يراها ويرعاها الكرسي البابوي، مثل المجمع المسكوني لترانت (١٥٤٥-١٥٦٥) (**concile oecuménique de Trente**) الذي ذيل أعماله بقوانين تشجب وتلعن الأطروحات والأفكار المخالفة للعقيدة التي أقرها المجمع، وعمق بذلك شروخا وانقسامات ما زالت تعاني منها الكنيسة إلى اليوم.

والمطلع على تطور العقل المسيحي الكنسي وفكره وثقافته، والدارس لنتاج الكرسي "الرسولي" الذي يجسد بنسبة كبيرة آلية وإنتاج ذلك العقل، يدرك أن الرسالة الدائرية البابوية الصادرة عن البابا بيا التاسع "كوانتا كورا (بأي قدر)" (**Cura Quanta**)، والتي تضم ضمن ملحقها السيلابوس (المدونة)، تجد أصولها أساسا في الرسالة البابوية الصادرة عن البابا غريغوار السادس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عشر (XVI Grégoire) والمعنونة "ميراري فوس" (Vos Mirari) بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٣٢، والتي قصد منها البابا المذكور أساسا إسكات الكاتب المسيحي "لاموني" (Lamennais) وجماعته، ومنع مجلته "المستقبل" (L'avenir) ذات الخط التحرري والتأثير القوي في الأوساط الدينية[٩]، والتي ساهمت في نشر أفكار ليبرالية تتلاقى مع الفكر الحداثي الناشئ، والشديد الارتباط بنشاط المؤسسات العلمانية، والماسونية أساسا.

ومساهمة منا في التعريف بجذور الفكر العلماني الغربي، والذي نراه إنتاجا مسيحيا خالصا في العديد من مكوناته، مع مساهمة يهودية ملموسة – لكن محدودة من حيث التأطير، وإن كانت قوية من حيث التنظير والتأثير – سنعمد إلى دراسة هذه اللائحة (السيلابوس) والتي ارتأينا أن نسميها "المدونة البابوية للمحظور من الفكر والكلام"، لأنها بالفعل قامت بتدوين مجموعة من المقولات كما قلنا يحرم على المسيحي الإيمان بها، أو اعتقاد إمكانية صدقها وصلاحها.

وطبعا حين نقول البابوية، فإننا نقصد أنها صادرة عن أعلى سلطة كنسية كاثوليكية، وأنها تعني الكاثوليك بالذات قبل غيرهم، وهم الطائفة الكبرى ضمن المجتمع المسيحي.

لكن قبل أن نقوم بعرض نص المدونة، سنقدم تعريفا لشخصية البابا بيا التاسع (Pie IX)، مع إشارة لدوافع إصداره لتلك المدونة، وذكر نبذة عن الرسالة التوجيهية "كوانتا كورا (بأي قدر)" (Quanta Cura) التي صدر نص المدونة ملحقا بها.

تعريف بالبابا بيا التاسع

لن نطيل الحديث حول حياة البابا بيا التاسع، ولا عن مساره الثقافي والديني،ولكن باختصار شديد نشير إلى أن الاسم الأصلي للبابا بيا التاسع هو "جيوفاني ماريا مستايي فيريتي" Giovanni Maria MASTAI-FERRETI (١٧٩٢–١٨٧٨) كان أطول من عمّر على كرسي البابوية (٣٢ عاما تقريبا)، وعاصر عهد الثورات الليبرالية وانطلاق الفكر

---

(٩) انظر بحثا للراهب برنارد لوسيان (Abbé Bernard Lucien) حول: "دراسات عن الحرية الدينية في العقيدة الكاثوليكية" (Etudes sur la liberté catholique religieuse dans la doctrine)، نشر دار "أقوياء في العقيدة" (Ed. Forts dans la Foi) ، نوفمبر ١٩٩٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيوعي وتألق الفكر الحداثي والعلماني، وتميز إضافة لذلك لدى خبراء تاريخ الكنيسة بأنه صاحب المشكلات الأربع:

١. مواجهة الحداثة: وحين يذكر عداؤه ومواجهته لتياراتها يستند المنتقدون له أساسا على نص المدونة التي نحن بصدد دراستها.

٢. عداؤه لليهود: حيث ينسب له – وهذا أمر يحتاج إلى دراسة تاريخية معمقة للتأكد من صحته، لكن الكثير من المراجع التاريخية تشير إليه – أن الكنيسة قد عمدت في عهده إلى تنصير اليهود قسرا. وتستند جل التهم من هذا الصنف الموجهة إليه على حادثة تنصير الطفل مورتارا (**Mortara**) سنة ١٨٥٨، حيث تقول المصادر التاريخية – غير الكنسية طبعا – أن رضيعا يهوديا لا يربو عمره عن السنة والنصف أصيب بمرض خطير، فعمّد سرا حسب طقوس الكنيسة الكاثوليكية، ثم سحب قسرا من عائلته ليتلقى تعليما مسيحيا. وهذا الطفل أصبح بعد راهبا واعتبره البابا ابنه بالتبني.

وتشير تلك المصادر التاريخية إلى أن هذا الأمر قد تم بالفعل، بل تنص على أن الراهب المذكور "إيدغاروا ليفي مورتارا" قد ظل على رهبانيته إلى أن توفي سنة ١٩٤٠.

٣. ابتكاره لعقيدة عصمة البابا: فقد عمد إلى الدعوة لعقد مجمع مسكوني "مجمع الفاتيكان الأول" ما بين ١٨٦٩– ١٨٧٠ ليصدر العديد من القوانين، كان على رأسها الدستور **aeternus Pastor** المثير للجدل والمؤسس لعقيدة "عصمة البابا" بتاريخ ١٣ يوليو ١٨٧٠. ذلك أنه وضع حدا لكل تواق للرجوع إلى قرارات "مجمع قسطنسة"[١٠]. (**constance**) بألمانيا حول "النظريات المجمعية"[١١] (**Les théories conciliaires**) والتي قضت بأن تكون سلطة المجامع أعلى من سلطة البابا.

---

(١٠) مدينة ألمانية على الحدود مع سويسرا، توجد على نهر الرين، ومتاخمة لجبال الألب، لها تاريخ أوروبي عريق إذ كانت من قبل مدينة رومانية ومن ثم تسميتها باسم الإمبراطور قسطنطين، وكانت معبر الذهاب إلى الشرق، فعاشت عهودا تجارية زاهية، وهي اليوم منتجع سياحي مشهور ببحيرته التي تتقاسمها سويسرا وألمانيا.

(١١) عقد هذا المجمع بمدينة قسطنسة" (**constance**) ما بين ١٤١٤ و١٤١٨ ميلادية، وكان مما صدر عنه قانون **Sacrosancta** الخاص بالنظريات المجمعية الذي رفض الباباوات أن يصادقوا عليه إلى اليوم. والجدير بالذكر أن هذا المجمع يعتبر مادة غنية لدراسة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولولا أن المجمع اضطر إلى التوقف لظروف أمنية بعيد صدور ذلك الدستور لكانت لائحة القوانين أشد وقعا على الفكر المسيحي الكاثوليكي مما عرفه التاريخ. بل نقول لو أن الكنيسة كانت بالفعل مؤمنة بالديموقراطية والحرية لألغت دستور البابا بيا التاسع في مجمعه الأخير (مجمع الفاتيكان الثاني) وأعادت الاعتبار لعلو سلطة المجامع المسكونية كما فعلت مع المدونة/ السيلابوس، ولكن لكرسي السلطة حلاوته وجاذبيته.

وبالمناسبة – وحتى ندرك الحيرة الفكرية التي كانت سائدة في الوسط الكنسي الرسمي – فإن ذلك الدستور قد صوتت عليه الأغلبية حيث وافق عليه ٥٥٣ أسقف وراهب من الحاضرين ضد ٢

"الانقلابات السياسية في أجهزة السلطة الدينية"، لأن المجمع لم يبتكر النظريات من فراغ، وإنما أرغم اثنين من الباباوات على الاستقالة، وأطاح بثالث، وعين رابعا.

فقد أرغم المجمع على الاستقالة كلا من البابا غريغوار الثاني عشر (**Grégoire XII**) والبابا المضاد **l'antipape** (كما تسميه الكنيسة) يوحنا الثالث والعشرون (**Jean XXII**) حيث كان يتنازع على الكرسي البابوي أكثر من واحد حسب النفوذ السياسي (والذي جاء البابا المعاصر الداعي لمجمع الفاتيكان الثاني والمحبوب لدى الليبراليين واليهود خاصة، فعمد إلى التسمي بنفس الاسم كي يلغي أحقية ذلك البابا المضاد في ادعاء البابوية ولو بالاسم). كما أطاح ذلك المجمع بالبابا بونوا الثالث عشر (**Benoît XIII**)، وعين البابا مارتن الخامس (**Martin V**). ولذلك يرفض الباباوات منذ ذلك التاريخ وإلى اليوم أن يصادقوا – بحكم احتكارهم لمنصب أسقف روما – على قانون النظريات المجمعية لخطورته على منصبهم وبقائهم في السلطة.

ورغم أنني أتعمد الإيجاز حتى لا أطيل، فإنني لا أرى بأسا من الإشارة إلى أن من بلايا هذا المجمع حكمه بالإعدام على الراهب جان هوس (**Jean Hus** ١٣٧١-١٤١٥)، عميد جامعة براغ، وقائد ثورة الإصلاح الديني و الفكري في تلك الحقبة من التاريخ، فلقد أزعجت كتاباته وأفكاره الكنيسة، وبعد أن ضاقت منه أحكمت قبضها عبر تدخلات ومناورات شتى لسجنه ثم محاكمته. وبعد سجنه تمت حين انعقاد المجمع محاولة تخليه عن ثلاثين فكرة من أفكاره ليحول إعدامه إلى سجن مؤبد، فرفض، فقرر المجمع إعدامه ليعدم في نفس اليوم (٦ يوليو ١٤١٥) حرقا بالحطب أمام الملأ، ورمي رماده في نهر الرين. نذكر هذا لنقول أن الكنيسة لم تكن تلعن فقط، وإنما كانت لاستبدادها الخطير تعمد إلى إعدام المخالف لها بالحرق على الحطب تنكيلا له ودرسا لغيره أمام أعين الناس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقط، لكن المثير للانتباه أن الوفد الفرنسي المكون من قرابة الخمسين أسقف، غادر روما قبل ذلك التاريخ بيوم حتى لا يحرج البابا في عدم الموافقة على مقترحه الخطير.

٤. اختلاقه لعقيدة "الطاهرة والعديمة الذنوب مريم" (dogme de l'Immaculée conception) سنة ١٨٥٤، وهي عقيدة كان فكرها سائدا قبل البابا بيا التاسع، لكنه يعتبر أول من سنها كقانون من صلب العقيدة الكاثوليكية، وأقام احتفالات مشهودة لذلك.

أسس هذه العقيدة المستحدثة تتريه العذراء مريم عن تهمة الخطيئة الأولى التي قام بها آدم وحواء كما هي مفصلة في كتب العقيدة النصرانية. فهذا الأصل من العقيدة النصرانية المتعلق بشمول الخطيئة الأولى لكافة البشر، وسريان إثمها في عقب آدم وحواء، سمح لأصول أخرى من تلك العقيدة أن تتمنهج وتتعقلن لتبرير خلاص وفداء المسيح "الإله الإبن" للبشرية.

إلا أن اعتبار السيدة مريم استثناء من التعميم الذي ينص عليه ذلك الأصل قد أوجد عقيدة أخرى تكاد تنطلق من التثليث إلى التربيع، علما بأن إضافة العصمة على البابا قد جعل عقيدة النصارى في طبعتها الكاثوليكية تميل من حيث المرجعية والتقديس إلى نوع من التخميس في العقيدة الكاثوليكية (الله، المسيح، الروح القدس، مريم، البابا)، علما أن عديدا من القراء المسيحيين سيرون – من وجهة نظرهم – أنني أغالي في وصفهم بأصحاب تخميس، كيف وهم يرون أنهم موحدون، توحيدا يتجلى في تثليث!

هذه العقيدة المستجدة كرست القطيعة مع البروتستانت، وجعلت الكنيسة في تناقض صارخ بين عموم الخطيئة الأولى على كافة البشر، والاستثناء الذي خصته للعذراء مريم.

ويشهد المؤرخون أن عهد البابا بيا التاسع هو الذي جعل من رد الفعل الكاثوليكي تجاه الثورة الفرنسية منهجا رسميا للكنيسة، واعتبر ما صدر من الدراسات والأبحاث والمقالات في هذا الشأن تراثا رسميا للإدارة الكنسية، مع عداء واضح وصارخ لمذهب البروتستانت، واعتبارهم الأصل في بلايا زمانه من اشتراكية وشيوعية وعلمانية وماسونية.

تعريف بالرسالة البابوية

كوانتا كورا (بأي قدر) (Quanta Cura)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لن نتطرق في هذا المقال المختصر إلى مدلول كلمة "رسالة دائرية" (encyclique) في القاموس الديني المسيحي، ولا إلى الأصول التي رجعت إليها الرسالة التي نحن بصددها من رسائل سابقة لباباوات الكنيسة وتوجيهاتهم وخطبهم ولعناتهم للأفكار والآراء المخالفة لطرحهم[١٢]، ولا إلى العلاقة الوطيدة كما ذكرنا بينها وبين الرسالة التوجيهية للبابا غريغوار السادس عشر (Grégoire XVI) والمعنونة "ميراري فوس" (Mirari Vos) بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٣٢م،[١٣] مكتفين بالقول بأن هذه الرسالة البابوية التوجيهية قد مثلت قمة الدفاع عن الكنيسة الكاثوليكية في وجه الحداثة العلمانية، أو على الأعم في وجه الثورة الليبرالية ذات النزعة الحداثية، ومن ثم كان اهتمامنا بها وبملحقها.

فهي بثوبها التقليدي وتشديدها السلطوي سمحت للثورة الليبرالية بأن تزدهر وتتسع داخل جمهور أتباع المسيحية من مسؤولين ومتدينين، بل حتى من داخل الهرم السلطوي نفسه، فهؤلاء جميعا قد استحسنوا في الغالب نقد تيارات الحداثة ومواجهتها للسلطة الدينية، ورضوا في داخل أنفسهم بكشفها صورا من جور واستبداد الكنيسة وفكرها المتحجر، بل رأوا في ذلك النقد المعقلن سندا لحركتهم الخافتة في وجه الفكر الكنسي السائد، والقائم عقبة في وجه التقدم، والرافض لكل قبول للرأي المخالف أو الحوار مع الآخر.

فليس عجبا أن يطفو على السطح نشاط مؤسسات ذات توجه عقدي مخالف للكنيسة الرسمية بشكل علني وبقوة بعد صدور تلك الرسالة وملحقها، سواء أكان ماسونيا أو يهوديا أو علمانيا أو غير ذلك. فلم يكن الصهاينة مثلا ليعقدوا مؤتمرهم الأول في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبكل حرية، لولا ضعف سلطة الكنيسة، واتساع مجال الحرية الدينية الذي أسهمت في انبثاقه الانتقادات العارمة لمضمون تلك الرسالة البابوية وملحقها المزعج، وانزواء رجال الدين المتشددين إلى خطوط الدفاع، وانشغالهم بتبرئة الذات وتحسين الصورة، وامتناعهم عن كل مواجهة، بعد

---

(١٢) اكتفينا في هذا المقال بسرد لائحة القوانين والرسائل والخطابات البابوية التي استخلصت منها المقولات الأخطاء بنصها اللاتيني، دون تفصيل حول دوافع ومضامين كل مرجع.

(١٣) راجع بحث الراهب برنارد لوسيان (Abbé Bernard Lucien) حول: "دراسات عن الحرية الدينية في العقيدة الكاثوليكية" (Etudes sur la liberté religieuse dans la doctrine catholique)، مصدر سابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إشباع الجهات المناهضة إدارة "الكرسي الرسولي" قدحا إلى حدود النيل من سلطان نفوذها وتقليص مجال تأثيرها، مما جعلها تتروي إلى دائرة الدفاع عن النفس، ساعية عبر محاولات شتى إلى التجديد في خطابها التقليدي لمنع تقلص الأنصار المتزايد، والذي ضاعف من أثره ضياع الأراضي والممتلكات البابوية، وتقلص النفوذ "العقاري" والفلاحي للكنيسة. فلو عزم منظمو ذلك المؤتمر إلى عقده قبل نصف قرن من تاريخه مثلا، لكان للكنيسة بالتأكيد رغم أزماتها موقف مناهض ومعاكس(١٤).

فلقد سمح هذا الملحق برسوخ الأفكار التي أرادها ممنوعة ووصفها بالضالة بسهولة تقنين المواقف الحداثية دستوريا، وترويج الأفكار والثقافات المؤيدة لها على نطاق واسع، مما اضطر الإدارة العليا للكنيسة أمام الانتقادات الموجهة لها من داخل صفوفها وخيرة أتباعها إلى عقد "مجمع الفاتيكان الأول" (١٨٦٩-١٨٧٠) وإصدار قرار عصمة البابا، فزادت الطين بلة، ودفعت إلى توسيع مجالات الحرية الدينية، والظهور العلني، المؤسساتي والدستوري، لليبرالية المسيحية، مع نمو

---

(١٤) هناك طبعا عوامل أخرى دفعت لذلك، وعلى رأسها بدء الهجوم الاستعماري على الأراضي العربية والإسلامية، ونضج الفكر الصهيوني بعد أن استوى على سوقه، حيث تجلى زمانه وحضر رجاله، وتحوله إلى مشروع سياسي فكري استيطاني، لكن مناخ الحرية الدينية الذي تبلور بقوة بعد إصدار مدونة المحظور من الكلام والفكر البابوية، وقرار عصمة البابا الذي جاء بعدها، والتأييد الشعبي للانتقادات الموجهة للكرسي البابوي من داخل وخارج الكنيسة، والمكتسبات الدستورية التي حصلت عليها تيارات الحداثة، كل ذلك مكن من عقد ذلك المؤتمر وتيسير مناخ تنفيذ خططه السياسية والمؤسساتية.

ونحن إذ نشير إلى ذلك، لا نعبر بتاتا عن التمني لو قامت الكنيسة بمنع المؤتمر، بل نثمن ما وصلت إليه أوروبا من التحرر والانفتاح الذي مهد لدخول الإسلام إليها من أبواب أخرى فيما بعد. أما المؤتمر الصهيوني فلا نرى له الأثر المزعوم الذي يدعيه بعض الدارسين لإنشاء إسرائيل، ولكن نرى أن الجسم العربي والإسلامي كان على حالة من الهوان – وما يزال – بحيث لا يحتاج معه إلى عميق تفكير سياسي، وكبير دهاء استراتيجي، سواء لتمزيقه أو اغتصاب أطراف منه.

فحين يسري الدود في جسم متعفن، فالتفسخ لا يرجع لشراهة الدود الأبيض وحنكة الأسود، ولا إلى بزوغ الدود أصلا، وإنما إلى استمرار وجود العفن وغياب الحياة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متصاعد للعلمانية، ونفوذ متزايد للأديان والملل الأخرى، وخاصة منها اليهودية التي كانت تعاني من الضيق والاضطهاد في أزمنة خالية.

بل لم تستطع تيارات الحداثة العلمانية – التي كسبت في ذلك الظرف العديد من المواقع السياسية والأرضية الدستورية – أن تضع قواعد الفصل بين الدين والدولة، وخاصة في الميادين التربوية والاجتماعية، إلا بفضل المناخ الثقافي النقدي الذي فجرته الرسالة البابوية وملحقها الاستبدادي، وقوة الردود التي كانت حولهما، حيث تمكنت من الدعاية السهلة لتحكيم العقل والمنطق لرفض مقتضياتهما، والتريث في الطاعة لكل توجيه ديني أو مدني من الكرسي الرسولي.

وغير خاف أن الفكر المسيحي التقليدي قد ظل منذ أن اقتبس تنظيم المجامع من المجالس الرومانية يفرض سلطته عبر إنزال لعناته على المخالفين في المجامع المحلية والمسكونية، وإقصاء معارضيه من الساحة، وسحب كل مترلة دينية عنهم، واتهامهم بسدنة الشياطين. ولقد ظل هذا النمط سائدا منذ بزوغ المسيحية التثليثية بشكل رسمي وجماعي في "مجمع نيقية" (concile de Nicée) سنة ٣٢٥ ميلادية وحتى عقد "مجمع الفاتيكان الأول".

واستفحل الأمر بعد انشقاق الكنيسة على أيدي الراهب الألماني الثائر "مارتن لوثر" Martin Luther (١٤٨٣-١٥٤٦) واللاهوتي الفرنسي "جون كلفان" Calvin Jean (١٥٠٩-١٥٦٤) ورفاقهما من البروتستانت، وخاصة بعد انعقاد المجمع المسكوني لترانت (١٥٤٥-١٥٦٥).

ولعل البابا ليون الثالث عشر في أواخر القرن التاسع عشر – والذي جاء بعد البابا بيا التاسع – هو أول من حاول الخروج عن هذا المألوف، سعيا لكسب بعض المواقع الاجتماعية والحد من الانتقادات الشعبية. ثم تجسدت الثورة على الموروث في "مجمع الفاتيكان الثاني"[١٥] حيث كان صدور البيان حول الحرية الدينية والبيان حول العلاقات مع غير المسيحيين بمثابة طلاق مع الفكر

---

(١٥) أعلن البابا يوحنا الثالث والعشرون عن نيته في عقد مجمع مسكوني يوم ٢٥ يناير ١٩٥٨ بعد شهور قليلة من جلوسه على الكرسي البابوي. وتم افتتاح المجمع بتاريخ ١١ أكتوبر ١٩٦٢، وختم أعماله بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسيحي التقليدي، وإن كانت معظم دوافع صدور هذين البيانين هي من خارج الكنيسة، ونتيجة ضغوط وإكراهات لا علاقة لها بتطور الفكر المسيحي انسجاما مع المدون من العقيدة.

فكان طبيعيا أن تحتوي رسالة البابا بيا التاسع تنويها بالأسلاف، ولعنات للتيارات المعادية لفكرها، ووضع حدود صارمة تفرض على الواقع، يعد كل متجاوز لها داخل اللعنة الرسمية، وم ؤهلا لأن يدون اسمه باللائحة السوداء. وبالفعل، تشير الفقرة الأولى من الرسالة التي نحن بصددها بوضوح إلى الأهداف التي كانت سائدة في الفكر المسيحي البابوي، والمتمثلة في التقليد الشديد للماضي، واعتبار كل تجديد ضلالا وخروجا عن طريق الصواب، بل انحرافا عن عقيدة المسيحية كما أثبتتها المجامع المسكونية.

فلقد جاء في الفقرة الأولى من الرسالة:

"نعم، إن أسلافنا قد برهنوا على أنهم هم المدافعون والمنتقمون لديان ـة الكاثولي ـك "العظيم ـة" وللحقيقة وللعدالة. فلقد كان همهم قبل كل شيء خلاص الأرواح، ولم تكن قلوبهم أحرص على شيء من اكتشاف وشجب – عبر رسالاتهم ودساتيرهم الحكيمة – كل الضلالات والأخط ـاء، والتي خلافا لعقيدتنا ودين الكنيسة الكاثوليكية، وخلافا لشرف الأخلاق والخ ـلاص الأب ـدي للبشر، لم تفتر باستمرار تحدث العواصف الشديدة التي لطخت كلا من الكنيسة والمدنية".

ويلاحظ أن البابا قد بدأ مطلع رسالته بتمجيد الأسلاف الذين سبقوه في اعتلاء الكرسي البابوي، مشيدا بدقتهم وصرامتهم، وهو بذلك يريد أن يؤكد على أنه يسير على نهج أسلافه، والتمسك بمضامين الفكر المسيحي التقليدي في مواجهة مستجدات الواقع المعاصر، ومتطلب ـات س ـاحاته الثقافية والسياسية والفكرية والدينية، خاصة وأن الثورة الليبرالية كانت على أش ـدها بأوروب ـا، وأضحت بعد المواجهات الحادة مع البابا بيا التاسع في منتصف القرن التاسع عشر الم ـيلادي – كما سنلمح لبعض ذلك في دوافع إصدار المدونة – عامة وشمولية في جميع الأمصار تقريب ـا ع ـبر انتشارها في جميع القطاعات الأدبية والفكرية والسياسية والتربوية.

دوافع إصدار المدونة

يشعر القارئ الناقد للنص بأن جمع المدونة كان شيئا مفكرا فيه قبل تاريخ صدوره، لكن لم تك ـن الكنيسة متحمسة له على رغم كونها راغبة في صدور قانون بابوي يلزم الأتباع بالاستقامة عل ـى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطاعة والاتباع، فهي عبر النص تخاطب أتباعها خاصة، حيث اتضح لها أن من ضمن فرق رجال الدين الخاضعين لسلطانها جمهور هام بدأت تستهويه فلسفة الحداثة، معتقدا صـ ـواب أفكاره ـا، ومشاطرا لها الكثير من مواقفها.

ويلاحظ الناقد ذلك عبر تلمس العجلة التي أعد بها النص، ونظام ترتيـ ـب عناصـ ـره، وحـ ـرص المشرفين على إبراز بعض القضايا دون بعض. فآخر كتاب صدر حول هذه المدونة بمناسبة مباركة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكنيسة للبابا بيا التاسع ورفعه لمرتبة القديس الصالح[١٦]، يشير إلى أن النص أعد على عجل رغبة في تحقيق أهداف إعلامية بالأساس[١٧].

لكن إصدار الكاتب إرنست رينان **Ernest Renan** (١٨٢٣-١٨٩٢)لكتابه "حياة المسيح" (**Vie de Jésus**) سنة ١٨٦٣، والذي لقي شهرة كبيرة بعد إصداره، كان حسب الخبراء والمؤرخين هو الدافع الأساس للإسراع بتحرير المدونة وتوزيعها على الأساقفة

---

(١٦) تم ذلك بتاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٠، وكانت المباركة له وللبابا يوحنا الثالث والعشرون الداعي للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، والمحبوب لدى اليهود والمسيحيين الحداثيين. وهو أمر لم يخل من انتقادات قوية داخل التيارات والأحزاب والجمعيات الدينية والعلمانية على السواء، إذ رأى الكثيرون أنه لم يدرج الرجلان للمباركة في يوم واحد إلا لتغطية الأخير المنفتح والحداثي على استبداد الأول وطيشه. وكانت معظم تلك الانتقادات تحيل على التناقض الصارخ بين الرجلين في المنهج والممارسة، وامتد الانتقاد ليقارن بين ما قام به البابا الحالي يوحنا بولس الثاني نفسه من طلب للسماح عن ظلم واضطهاد الكنيسة لأتباع اليهودية، واعترافه بتجاوز الكنيسة في العصور الماضية قيم التسامح وعدم احترامها لحقوق الإنسان، وخاصة في رسالته بتاريخ ١٢ مارس ٢٠٠٠، وبين ما يقوم به من مباركات وتقديس لشخصيات مست بتلك القيم وأخلت بتلك الحقوق.

وكانت الانتقادات الأشد صوتا تلك الصادرة عن المؤسسات والنوادي اليهودية والمسيحيين المنضوين تحت شبكة "من أجل وجه آخر للكنيسة والمجتمع" (**Pour un autre visage d'Eglise et de Société**)، وهم في الغالب أتباع الراهب الفرنسي الثائر غايو (**Gaillot**) والذي أقالته الكنيسة المركزية من منصبه سنة ١٩٩٥. كما صدر شيء مماثل عن بعض الشبكات الدولية التي تعبر عن التيار المسيحي المناهض لسلطة البابا مثل شبكة "نحن كنيسة" (**Nous sommes Eglise**)، وشبكة "كنيسة الحرية" (**Eglise de liberté**).

(١٧) راجع كتاب الراهب بول كريستوفر (**Paul Christopher**) والأسقف رولان مينيراث (**Roland Minerath**) بعنوان: "سيلابوس بيا التاسع"، نشر **Le Cerf**، سبتمبر ٢٠٠٠، باريس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والرهبان. كيف وهو الكاتب الذي لقبه البابا بشاتم الإله ومنتقص الذات الإلهية الأوروبي (le européen blasphémateur).

وتحدثنا المراجع التاريخية الكنسية أنه كان للبابا بيا التاسع فعلا نية في أن يصدر السيلابوس م ع التوجيه سنة ١٨٥٤، والذي خصص للإعلان عن تأسيس "عقيدة الطهارة الكلية للعذراء مريم" (conception dogme de l'Immaculée)، إلا أنه كما يقول مؤيدو السيلابوس، لم يكن متجانسا البتة أن يوضع تحت "القدم العذري الذي يحطم كل الأخطاء" – وهم يعنون بذلك سيدتنا مريم عليها السلام – تلك اللائحة من الأخطاء والبدع المعاصرة.

بل وجدنا في الكتابات المعاصرة للفكر المسيحي احتجاج أولئك المؤيدين من المسيحيين الراديكاليين بتلك النية البابوية في النشر المبكر في وجه من ذهبوا من المؤرخين إلى القول بأن نشر اللائحة كان تحت وقع سلب الأراضي للسلطة الكنسية وتفتيت "الولايات البابوية"، وغيرها من الحوادث السياسية، بعيدا عن كل مقصد ديني، ليبرهن أولئك الراديكاليون على أن النشر كان نتيجة تفكير عميق وإعداد طويل لخبراء الكنيسة برئاسة الكرسي البابوي.

ولا شك أن الأحداث التاريخية تؤكد أن النية كانت بالفعل لدى البابا في إصدار المدونة سنة ١٨٥٤، ذلك أن مواجهة الفكر الليبرالي والحداثي بدأت تطفو على السطح بحدة، مستغلة الأزمات السياسية والحروب الطاحنة التي سعرت لظاها في إيطاليا والدول المجاورة لها. ففي ٢٩ أبريل ١٨٤٨ أعلن البابا أنه لا يمكنه إعلان الحرب على دولة المجر الكاثوليكية، مما يوحي ضمنيا أنه يشجب التحركات التي يقوم بها الملك "شارل ألبير" ملك بييمونت (roi du Piémont)[١٨]. فكانت ردود الفعل أن اغتيل رئيس الحكومة بالفاتيكان الراهب "باليغرينو

---

(١٨) تقع منطقة بييمونت Piémont في الشمال الغربي لإيطاليا، سبق لنابليون أن ضم جزءا منها سنة ١٨٠٢ إلى فرنسا بناء على استفتاء أجري سنة ١٧٩٩، مما ألب عليه عديدا من الدول الأوروبية التي رأت في ذلك نوعا من الهيمنة التوسعية لفرنسا، علما أنه في سنة ١٨٦٠، شكر ملك بييمونت نابليون الثالث على مساندته في حربه على المجر بأن سلمه منطقتي نيس وسافوا. فإيطاليا كانت مقسمة إلى مملكات، منها مملكة نابلس (Naples) على البحر المتوسط، والممالك البابوية التي كانت أوسع من دولة الفاتيكان الحالية بكثير، ومملكة بييمونت في الشمال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

روصي" (**Rossi Pallegrino**) في ١٥ نوفمبر من نفس السنة، مما اضطر البابا إلى أن يغادر روما متخفيا في الأسبوع الموالي خوفا على نفسه إلى مدينة جايت (**Gaéte**) (مدينة بالجنوب الإيطالي)، وهكذا أعلن عن نهاية الحكم السياسي والمدني بروما بتاريخ ٩ فبراير ١٨٤٩.

أما من باريس، فقد انطلق الانفجار الثوري الماسوني سنة ١٨٤٨ ليعم كافة أقطار أوروبا، وصدر كذلك في نفس السنة البيان الشيوعي، لتتجسد الأفكار الناتجة عنهما في شكل جمعيات ومؤسسات ذات نفوذ في مجال الإعلام وأندية الثقافة والفكر في أقل من خمس سنوات.

ومما يقوي الشهادة بذلك أيضا أنه في تلك السنة (١٨٥٤) ظهرت ببعض البلدان الأوروبية جمعيات ومؤسسات ترى أن مراسيم الدفن يمكن أن تكون مدنية، حيث سرى بين الناس نوع من الفكر يعتبر استدعاء راهب حين الموت تخلفا، وتسليما للكنيسة بأن لها سلطة على الآخرة؛ كما ساعد على نمو هذا الفكر موقف الكنيسة المتمثل في رفض دفن موتى من تعدهم من أعدائها في المقابر المسيحية، والتي ترى تربتها مقدسة ومترهة عن احتواء رميم المفكرين الأحرار.

فمثلا نجد المفكر المسيحي "بيار – تيودور فرهايجن" (**Pierre-Théodore Verhaegen**) (١٧٩٦ – ١٨٦٢) مؤسس الجامعة الحرة ببروكسيل معقل العقل الماسوني، والأستاذ الأكبر للمحفل الماسوني البلجيكي من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٦٢ (بل هو الذي ألغى القرار ١٣٥ من قانون المحفل الذي كان يمنع مناقشة الشأن الديني البلجيكي حيث اعتبارا من تاريخ إلغائه يوم ٢١ أكتوبر ١٨٥٤، أصبح انتقاد الماسونية للكنيسة صريحا وقويا)، يعلن بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٨٦٢ أنه يطالب بمراسيم دفن مدنية رغم عدم رضا عائلته المتدينة. وإعلانه هذا شجع فكرة "الموت المدني"، خاصة وأن طلبه صادر عن شخصية، ماسونية نعم، لكنها ما لبثت تنادي جهارا بمسيحيتها، حيث نجد هذا الأستاذ يعلن سنة ١٨٥٢م في البرلمان البلجيكي

الغربي. فكان الشعب في مناطق النفوذ البابوي يطالبون بالإصلاح السياسي والمزيد من الحريات، حيث لبى البابا بيا التاسع جانبا منها على خلاف سلفه غريغوار السادس عشر، إلا أن الحروب الثنائية الأوروبية، والأزمات الداخلية أضعفت شوكته. وفي سنة ١٨٦١ أعلن ملك بييمونت " فيكتور إيمانويل" **Victor-Emmanuel** ملكا على إيطاليا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي كان رئيسه مراراً: "إنني مسيحي، وأعلنها بكل قوة". وتم تحقيق رغبة هذه الشخصية في يوم مشهود في التاريخ البلجيكي (الماسوني) بتاريخ ٧ مارس ١٨٦٣م[١٩].

من الدوافع كذلك انعقاد مؤتمر ميونخ (**Munich**) في ألمانيا تحت إشراف "دولانجر" (**Doellinger**) في سبتمبر ١٨٦٣، إذ وجه البابا رسالة إلى المؤتمرين عبر كبير أساقفة ميونخ ينبههم فيها – بعدما بلغته الأفكار التحررية التي دعي لها المؤتمر ونوع الخطاب المنتقد للكنيسة الذي عبر عنه بعض المدعوين – إلى ضرورة خضوع المؤمنين لتعاليم وتوجيهات السلطة الدينية.

ومنها كذلك انقاد مؤتمر "مالين" (**Malines**) ببلجيكا ما بين ١٨ و٢٢ أبريل ١٨٦٣م بدعوة من الكاثوليك البلجيكي بين، حيث خطب المفكر مونتالومبير" (**Montalembert**) وتناول الكلمة مرتين، بخطاب تحرري لم تكن لتقبله حينذاك سلطة الكنيسة، حيث طالب بفصل السلطة الدينية عن المدنية.

ومن الأمور التي دفعت البابا كذلك إلى إصدار لائحته، ما بدأ يشاهده التعليم من جرأة لأساتذة الفكر الحر والمعادي للكنيسة على طرح الأفكار داخل الجامعات والوسط الطلابي، فمثلا في مدينة "غاند" (**Gand**) و"بروج" (**Bruges**) البلجيكيتين، تحرك القساوسة سنة ١٨٥٦ ضد أستاذين جامعيين ينكران ألوهية المسيح، ويطالبان الكنيسة بالعمد إلى التحديث والتطوير، وطالبوا بوضع حد لمثل هذا التعليم الإلحادي.

هذا فضلا عن التهديد الشخصي الذي أحس به البابا من جراء توقيع اتفاقية بين نابوليون الثالث وملك بييمونت " فيكتور إيمانويل" **Victor-Emmanuel** في ١٥ سبتمبر ١٨٦٤ على أن تسحب فرنسا قواتها الحامية للبابا على مدى سنتين، مما جعل البابا يعجل بإصدار ما كان يؤجله احتراما وتقديرا للحماية التي كانت موفرة له.

---

(١٩) "١٨٥٠– **L'intelligentsia Européenne en mutation conséquences", ١٨٧٥: Darwin, le Syllabus et leurs Problèmes d'histoire des religions, Université Libre Bruxelles, ٩/١٩٩٨, p: ٧٠ de**.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما أننا نلمس من نصوص المدونة أن من بين دوافع إصدارها ما يلي:

• ارتفاع السقف المعرفي لدى الفرد الأوروبي منذ احتكاكه بالفكر الأندلسي، وتشبعه بالفكر الثوري الفرنسي، وتدني معدلات الأمية في وسطه الاجتماعي منذ ١٨٣٠، وتمتعه بثمار الصناعة المطبعية التي مكنت من رواج الدراسات والكتب والصحف والمجلات على مستوى شعبي ودولي، فلم يعد مقتنعا بالخطاب الديني التقليدي المناهض للتطور، ومهيئا من جراء ذلك لاستيعاب الخطاب الحداثي والتمرد على السلطة الكنسية، وهذا ما يشير إليه الفصلان الأول والثاني في ذمهما ضمنيا للفلسفة والعقلانية والفكر الحر.

• رغبة المواطن الأوروبي في الارتقاء إلى مستويات رغيدة من العيش، ودرجات عالية من الحرية السياسية والفكرية والدينية، وخوف الإدارة الكنسية من انتشار المذهب البروتستانتي، أو الردة الجماعية للأوروبيين عبر اعتناق ديانات أخرى غير المسيحية الكاثوليكية، حيث رأت الكنيسة أن عليها كسب الناس عبر الانتقاص من معارضيها وإلزام الأتباع بعدم الإيمان بأفكار تؤدي حتما إلى غلبة الخصم وإضعاف سلطتها التقليدية، وهذا ما تشير إليه أساسا الفصول الثالث والرابع والسادس والعاشر.

• انتشار الزواج المدني بالوسط الأوروبي، وهذا ما يشير إليه بوضوح الفصل الثامن.

• ضعف الحنكة السياسية والاستراتيجية للكنيسة، وفقدانها المزيد من السلطة السياسية أمام زحف المجتمع المدني، وهو ما يشير إليه الفصلان الخامس والسادس.

فمما يذكره الراهب الراديكالي "جاك بلونكار داساك" (**Jacques Ploncard d'Assac**) في محاضرته[٢٠] حول السيلابوس بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٨٤م، أن المؤرخ أذريان

---

(٢٠) "النشرة الأدبية المضادة للثورة: قراءة وتراث" (**Bulletin littéraire contre-révolutionnaire: Lecture et Tradition**)، العدد ١٠٩، سبتمبر – أكتوبر ١٩٨٤، والمخصص للبابا بيا التاسع ومدونته، ص ٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دانسيت (Dansette Adrien)[٢١]، أشار في موسوعته "التاريخ الديني لفرنسا المعاصرة" (Histoire religieuse de la France contemporaine) بأن الأخطاء التي أشيع بضرورة شجبها ولعنها من طرف الكنيسة هي:

- علمانية الدولة.
- حرية الضمير وحرية المعتقد.
- حرية الإعلام.
- سيادة الشعب.
- حق المجتمع المدني في الاهتمام والانشغال بالقضايا التي تهم الدين.

لكن الأستاذ المحاضر يعترف أن الرسالة وملحقها إن كانا لم يضيفا شيئا فيما يخص موقف الكنيسة التقليدي، فإنهما سمحا بتقديم تلك الأخطاء في شكل صارم مفعم بالتحدي.

تاريخ تحرير المدونة

تجمع الدراسات التاريخية على أن فكرة إصدار مدونة للأخطاء المعاصرة صدرت سنة ١٨٤٩عن الكاردينال أسقف مدينة "بيروز" (Pérouse) جيواشينو بيتشي (١٨١٠م – ١٩٠٣م) (Gioacchino Pecci)، والذي خلف البابا بيا التاسع على كرسي البابوية ولقب بالبابا ليون الثالث عشر، وذلك إبان عقد المجمع الإقليمي لمدينة "سبوليت" (Spolète)، حيث ورد فيه تقريره ما يلي:

"ولنطلب حالا من أبينا المقدس حضرة البابا أن يمدنا بدستور يحدد مختلف الأخطاء المتعلقة بالكنيسة والسلطة الملكية، ليضع عليها طابع الرقابة اللاهوتية المرادة، وليعلنها في الأشكال المعتادة. ورغم أن نفس هذه الأخطاء قد تم شجبها من طرف الكنيسة بشكل منفرد، فإن المجمع

---

(٢١) "Histoire Religieuse de la France Contemporaine". Tome I: de la Révolution à la III° république. Tome II: Sous la III° République, Flammarion ١٩٤٨–١٩٥١, Paris.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدس يتبين له أنه من المنفعة الكبرى لخلاص المخلصين أن تقدم تلك الأخطاء في لائحة وفي الأشكال التي تظهر بها اليوم، مع إنزال أقسى الحكم في حقها"[٢٢].

وفي سنة ١٨٥٢، طلب البابا من الكاردينال فورناري (Fornari cardinal) أن يقوم بالاتصال بالأساقفة وكبار المثقفين الكاثوليك لدراسة الحالة الفكرية للمجتمع المعاصر في ما يخص معظم الأخطاء والضلالات السائدة فيه بالنسبة للعقيدة، ونقط التقائها مع علوم الآداب والسياسة والاجتماع. فبادر الكاردينال إلى إرسال رسالة في هذا الصدد لطائفة منتقاة من الأساقفة والمفكرين، ألحقها بلائحة تضم ٢٨ خطأ من النوع الذي يراد جمعه وحصره.

ولم تصدر اللائحة في شكلها النهائي إلا بعد اثني عشر سنة من هذه البداية الفعلية، واختلفت الأقوال بين من يرى أن تلك المدة الطويلة كانت دلالة على عمق التفكير والتداول الكبير الذي تم في هذا الشأن، وبين من يرى فيها التوقف والتراجع المرحلي الذي انتاب الكنيسة حين عزمها على إصدار هذا المشروع، وأن هناك معارضات واجهت النص ومنعت من السرعة من إصداره، لينتهوا إلى أن شكل عرضه وتسلسل فقراته دال على الاستعجال في إخراج شيء تم الاستغناء عنه في مرحلة ما، ثم دعت الظروف المستجدة إبرازه ونشره.

لكن وإلى اليوم، لم يكشف الفاتيكان – رغم مرور قرابة القرن ونصف على هذا المشروع – عن أسراره ودوافعه الحقيقية، كما لم يسمح لأحد بأن يطلع على وثائقه، فيعرف ما هي الأجوبة التي تلقاها الكاردينال فورناري، وما هي الاقتراحات التي أخذ بها، وكيف كانت ردود فعل أهل الفكر والثقافة الذين تم الاتصال بهم. فكل ما قيل حول هذا الموضوع هو مجرد مقاربات لا تستند إلى أرشيف ووثائق، وكيف السبيل لها وهي ما تزال إلى اليوم في طي الكتمان.

نص المدونة

---

(٢٢) راجع الدراسة التي قام بها القس لويس بريجي (L. Brigué) (١٩٥٩-١٩٠٠)، والمنشورة ضمن موسوعة اللاهوت الكاثوليكي المرجعية (Dictionnaire de la Théologie Catholique)، المجلد الرابع عشر، باريس، ١٩٤١، عمود ٢٨٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ضمنيا، مادامت المدونة تسعى لحصر الأخطاء والضلالات الكبرى التي لا يجوز الإيمان بمحتواها أو إضفاء نوع من الحقيقة على مضمونها، فإني أدعو القارئ إلى أن يعتبر بأن كل مقولة أو فكرة ينبغي أن تقرأ وكأنها مسبوقة بعبارة: "إنه لمن الضلال الاعتقاد بأنه..."، وهو ما رأيت الطبعات الحديثة للمدونة تنص عليه.

الفصل الأول

وحدة الوجود والفلسفة الطبيعية والعقلانية المطلقة

١. لا يوجد أي مخلوق إلهي أعلى، كامل في حكمته، وفي نبوءته، بحيث يكون متميزا عن عالمية الأشياء، والله مطابق لطبيعة الأشياء، ومن ثم فهو خاضع للتغيير. فالله بحكم ذلك هو الموجود في الإنسان وفي العالم، وكافة المخلوقات آلهة، ولها المادة ذاتها التي لله، وهكذا فالله هو نفس وذات الشيء مع العالم، ونتيجة لذلك، فالروح هي نفس الشيء مع المادة، والحاجة مع الحرية، والحق مع الباطل، والخير مع الشر، والعدل مع الجور.

٢. يجب إنكار كل فعل لله على الناس وعلى العالم.

٣. العقل الإنساني، المستقل كليا عن الله، هو الحكم الوحيد بين الحقيقة والكذب، والخير والشر. بل هو قانون الإنسان، ويكفي بقواه الطبيعية لجلب الخير للناس وللشعب.

٤. كل حقائق الدين نابعة من القوة الفطرية للعقل الإنساني، ومن ثم فالعقل هو القانون الأسمى الذي من خلاله يستطيع ويجب على الإنسان أن يدرك المعرفة وجميع الحقائق من كل نوع.

٥. إن الوحي الإلهي ناقص، ومن ثم فهو خاضع لتطور مستمر وغير محدود يستجيب لنقد العقل الإنساني.

٦. إن الإيمان بالمسيح معارض للعقل الإنساني، والوحي الإلهي ليس فقط غير مفيد، ولكنه فوق ذلك، عائق في وجه كمال الإنسان.

٧. إن النبوءات والمعجزات الواردة والمقصوصة في الكتب المقدسة وأسرار الإيمان المسيحي هي خلاصة للتحقيقات الفلسفية، وفي كتب العهد القديم والجديد اختراعات أسطورية، بل المسيح نفسه خيال أسطوري.

الفصل الثاني

العقلانية المعتدلة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٨. بما أن العقل الإنساني مساو للدين نفسه، فإن علوم اللاهوت يجب أن تعالج بنفس الطريقة التي تعالج بها العلوم الفلسفية.

٩. كل عقائد الدين المسيحي بدون استثناء هي نتاج علم الطبيعة أو الفلسفة، والعقل الإنساني – بالثقافة المحصلة تاريخيا وحدها – يمكنه انطلاقا من مبادئه وقواه الطبيعية، أن يصل إلى المعرفة الحقة لكافة العقائد – حتى الغامضة منها – ويكفي فقط أن تعرض هذه العقائد على العقل الإنساني نفسه كموضوع.

١٠. بما أن الفيلسوف شيء آخر، وشيء آخر كذلك الفلسفة، فإن من حق الفيلسوف وواجبه أن يخضع لسلطة اعترف هو نفسه أنها الحق، لكن الفلسفة لا يمكنها ولا يجوز لها أن تدعن لأي سلطة.

١١. الكنيسة ليس عليها فقط أن تمتنع – وفي كل الأحوال – عن مصادرة الفلسفة، بل عليها أن تتسامح مع أخطاء الفلسفة، وتترك لها المجال لتقوم بتصحيح ذاتها بنفسها.

١٢. إن مراسيم الكرسي الرسولي والتجمعات الرومانية والإدارات الدينية بالفاتيكان تعرقل التقدم الحر للعلم.

١٣. إن المنهج والمبادئ التي عبرها صاغ دكاترة المدارس والفقهاء علم اللاهوت لم تعد مناسبة كلية لحاجيات زمننا ولتقدم العلوم.

١٤. يجب أن نهتم بالفلسفة دون أي اعتبار للوحي الخارق.

يشير النص الأصلي للمدونة هنا إلى الملاحظة الآتية:

ترجع أخطاء أنطوان غنتير (**Antoine günther**) في معظمها لمنظومة العقلانية، والتي تم لعنها في رسالة "الكاردينال جثليق"[٢٣] لكولونيا بعنوان **tuam Eximiam** بتاريخ ١٥ يونيو ١٨٥٧، وكذلك في رسالة بطريق دوبريسلو **l'Evêque de Breslau** بعنوان **baud mediocri Dolore** بتاريخ ٣٠ أبريل ١٨٦٠.

الفصل الثالث

اللامبالاة

١٥. كل شخص حر في اعتناق وممارسة الديانة التي يرى في ضوء العقل أنها الحق.

---

(٢٣) درجة من درجات الإدارة الدينية المسيحية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٦. يمكن للناس أن يجدوا طريق الخلاص الأبدي ويحصلوا على هذا الخلاص عبر اعتناق أية ديانة.

١٧. مما يؤمل – على الأقل – من الخلاص الأبدي أن يصل إلى كافة الذين ليسوا مطلقا مع الكنيسة الصحيحة للسيد المسيح.

١٨. البروتستانتية ليست إلا شكلا آخر لنفس الدين المسيحي الصحيح، شكل يمكن أن نكون فيه محبوبين لله كما في الكنيسة الكاثوليكية.

الفصل الرابع

الاشتراكية – الشيوعية – الجمعيات السرية – الجمعيات الثوراتية – جمعيات رجال الدين الأحرار

إن هذه الآفات قد تم مرارا استهجانها بألفاظ غليظة في:

– الرسالة الدائرية **Encyclique Qui pluribus** بتاريخ ٩ نوفمبر ١٨٤٦م.

– والخطاب الرسمي (الإرشادي) **Allocution quantisque Quibus** بتاريخ ٢٠ أبريل ١٨٤٩م.

– والرسالة الدائرية **Encyclique nobiscum et Nostis** بتاريخ ٨ ديسمبر ١٨٤٩م.

– والرسالة الدائرية **Encyclique Quanto conficiamur mærore** بتاريخ ١٠ أغسطس ١٨٦٣م.

الفصل الخامس

ضلالات حول الكنيسة وحقوقها

١٩. الكنيسة ليست مجتمعا صحيحا ومثاليا كامل الحرية، وليست لها حقوق خاصة ودائمة مخولة لها من طرف مؤسسها المقدس. بل من حق السلطة المدنية أن تحدد ما هي حقوق الكنيسة، وفي أي حدود يمكنها ممارسة تلك الحقوق.

٢٠. لا يمكن للسلطة الكنسية ممارسة نفوذها دون ترخيص وموافقة من السلطة المدنية.

٢١. ليس للكنيسة الحق في أن تحدد عقائديا أن ديانة الكنيسة الكاثوليكية هي وحدها الدين الحق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٢. إن مسؤولية الأساتذة والكتاب الكاثوليك ليست مندرجة كلية إلا في المواد التي يحددها حكم الكنيسة المعصوم بكونها عقائد الإيمان التي على الجميع الإيمان بها.

٢٣. إن الأحبار الرومان (الباباوات) والمجامع المسكونية قد تجاوزوا حدود سلطاتهم، وانتحلوا حقوق الأمراء، بل ضلوا في التعاريف المتعلقة بالإيمان والأخلاق.

٢٤. ليس للكنيسة الحق في استعمال القوة، وليست لها أي سلطة دنيوية لا مباشرة ولا غير مباشرة.

٢٥. إضافة إلى السلطة المتأصلة في الأسقفية (أي في الكنيسة)، هناك سلطة أخرى هي السلطة الدنيوية التي منحت إما بشكل واضح أو ضمنيا من طرف السلطة المدنية، وبالتالي يمكن إلغاؤها بإرادة هذه السلطة المدنية.

٢٦. ليس للكنيسة الحق الطبيعي والشرعي في الاقتناء والامتلاك.

٢٧. يجب أن يبعد الوزراء المقدسون للكنيسة (الإدارات الدينية) والحبر الروماني (البابا) عن كل إدارة أو سيادة للشؤون الدنيوية.

٢٨. لا يسمح للأساقفة بأن ينشروا رسائل رسولية دون إذن من الحكومة.

٢٩. يعتبر كل عفو من طرف الحبر الروماني (البابا) لاغيا إذا لم يخضع لموافقة الحكومة المدنية.

٣٠. إن حصانة الكنيسة والشخصيات الكنسية تشتق أصولها من القانون المدني.

٣١. إن المنتدى أو المحكمة الكنسية للأحكام الدنيوية لرجال الدين، سواء على الصعيد المدني أو الجنائي، يلزم أن تلغى كلية، وحتى بدون استشارة الكرسي البابوي، ودون أي اعتبار لاحتجاجاته.

٣٢. إن الحصانة الشخصية التي تعفي رجال الدين من الخدمة العسكرية يمكن أن تلغى دون انتهاك للعدالة أو الحق الطبيعي، فالتقدم المدني يملي هذا الإلغاء، خصوصا في مجتمع مصاغ على نظام حكم أكثر تحررا.

٣٣. ليس للسلطة القضائية الكنسية وحدها الحق الخاص والطبيعي في توجيه التعليم بالمدارس اللاهوتية.

٣٤. إن عقيدة من يقارنون الحبر الروماني (البابا) بالأمير الحر الممارس لسلطته داخل الكنيسة العالمية عقيدة ترجع إلى القرون الوسطى.

٣٥. لاشيء يمنع عبر قرار من مجمع عام، أو برغبة من كل الشعوب، أن يتم تحويل الكرسي الرسولي من الحبر الروماني أو مدينة روما إلى حبر آخر ومدينة أخرى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٦. إن تعريف المجمع الوطني لا يقبل أي مناقشة، والإدارة المدنية يمكن أن تتمسك وتقف عند نتائجه.

٣٧. يمكن إنشاء كنائس وطنية غير خاضعة لسلطة الحبر الروماني ومعزولة كلية عنه.

٣٨. إن التصرفات الاعتباطية جدا للأحبار الرومان (الباباوات) دفعت إلى انقسام الكنيسة بين شرقية وغربية.

الفصل السادس

أخطاء حول المجتمع المدني سواء في ذاته أو في علاقاته مع الكنيسة

٣٩. الدولة هي الأصل، والمصدر لكافة القوانين، وتتمتع بقانون لا تحتويه أية حدود.

٤٠. إن عقيدة الكنيسة الكاثوليكية معاكسة لخير ومصالح المجتمع البشري.

٤١. إن السلطة المدنية، حتى لو كانت ممارسة من طرف حاكم كافر، لها قوة غير مباشرة مضادة للقضايا المقدسة، ومن ثم فليس لها فقط براءة اعتماد القوانين، بل كذلك حق استئنافها والتعسف فيها.

٤٢. في حالة تعرض القوانين الصادرة عن كل من السلطتين (المدنية والكنسية) فإن الترجيح هو للقانون المدني.

٤٣. للسلطة العلمانية الحق في إبطال وإلغاء المعاهدات الرسمية التي أبرمت مع الكرسي الرسولي وفق الحقوق المتعلقة بالحصانة الكنسية (الإيكليروسية) دون موافقة هذا الكرسي، بل على الرغم من احتجاجاته.

٤٤. يحق للسلطة المدنية التدخل في القضايا التي تتعلق بالدين والأخلاق والتوجه الروحي، ومن ثم فإنه يمكنها الحكم على الأوامر والتوجيهات الصادرة عن قساوسة الكنيسة تنفيذا لمهامهم وطبقا لما تمليه ضمائرهم، بل يمكنها كذلك البث في إدارة الطقوس الدينية والترتيبات الضرورية المتعلقة بها.

٤٥. إدارة المدارس العمومية التي تشرف على إعداد ناشئة بلد مسيحي باستثناء – وفي حد معين – المدارس الكنسية، يمكن ويجب أن تكون كلية من اختصاص السلطة المدنية ومخولة لها، بحيث لا يعترف لأي سلطة أخرى بالتدخل في مناهج المدارس وترتيب الدراسات ومنح الشهادات واختيار وإقرار تعيين الأساتذة.

٤٦. بل أكثر من ذلك، حتى في المدارس الكنسية، يكون المنهج الذي يلزم اتباعه في الدراسة خاضعا لموافقة السلطة المدنية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٧. إن التكوين الأفضل للمجتمع المدني يقتضي أن تكون المدارس العمومية، والتي هي مدارس مفتوحة في وجه كافة الأطفال من كل طبقات الشعب، وبصفة عامة كل المؤسسات العمومية الخاصة بتعليم الآداب والحرص على تربية جادة وتعليم أكثر نزاهة للشباب، مبعدة عن كل سلطة للكنيسة، وعن كل سيطرة أو تدخل من طرفها، وأن تخول إدارتها كلية لتقدير السلطة المدنية وسياستها وفق رغبات حكوماتها، وفي الإطار السوي للآراء العامة للعصر.

٤٨. يمكن لبعض الكاثوليك التصديق على نظام لتربية الشباب بحيث يكون منفصلا عن العقيدة الكاثوليكية وعن سلطة الكنيسة، والذي يهدف فقط، – أو أساسا على الأقل – إلى معرفة الأشياء الطبيعية الخالصة، وأهداف الحياة الاجتماعية على وجه الأرض.

٤٩. يمكن للسلطة المدنية أن تمنع الاتصال الحر والأخوي بين الكرسي الرسولي والأساقفة والمخلصين.

٥٠. للسلطة العلمانية من تلقاء نفسها الحق في تمثيل الأساقفة، ويمكنها أن تجبرهم على أن يزاولوا مهامهم بالأبرشية حتى قبل أن يستلموا من الكرسي الرسولي تنصيبهم القانوني ورسائل تعيينهم الكنسية.

٥١. بل أبعد من ذلك، للحكومة العلمانية الحق في منع الأساقفة من ممارسة وظائفهم الرعوية، وليست ملزمة بالطاعة للكرسي الرسولي فيما يتعلق بتأسيس الأسقفيات وتعيين الأساقفة.

٥٢. يمكن للحكومة بمحض إرادتها أن تغير العمر المحدد من طرف الكنيسة لممارسة المهام الدينية سواء للنساء أو الرجال، وأن تلزم كافة المجموعات الدينية بأن لا تقبل أي شخص في عهودها الرسمية إلا برخصة منها.

٥٣. يلزم إلغاء القوانين التي تحمي ميثاق المجموعات الدينية وحقوقها ووظائفها، بل أكثر من ذلك، يمكن للحكومة المدنية أن تساند كل أولئك الذين يرغبون في التخلي عن الحالة الدينية التي اعتنقوها ومخالفة عهودهم الرسمية، وفي نفس الوقت، يمكنها (أي الحكومة المدنية) أن تحل كل هذه المجموعات الدينية، وكذلك الكنائس الجامعية، ومكاسبها البسيطة في حق الإشراف، وإخضاع ممتلكاتها ومداخلها لإدارة وقوة السلطة المدنية.

٥٤. إن الملوك والأمراء ليسوا معفون فقط من السلطة القضائية للكنيسة، ولكنهم أرفع من الكنيسة للحسم في الشؤون القضائية.

٥٥. يجب فصل الكنيسة عن الدولة، وفصل الدولة عن الكنيسة.

الفصل السابع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأخطاء التي تتعلق بالأخلاق الطبيعية والمسيحية

٥٦. لا تحتاج القوانين القانونية الأخلاقية إلى مصادقة قدسية، وليس هناك حاجة على الإطلاق أن تطابق القوانين الإنسانية قانون الطبيعة، أو أن تتلقى من الله قوة النفوذ والوجوب.

٥٧. إن علوم الفلسفة والأخلاق، وكذلك القوانين المدنية، يمكن أن تسحب من سلطان السلطة الدينية والكنسية.

٥٨. لا ينبغي الاعتراف بقوات أخرى غير التي هي مستقرة في المادة، وكل منظومة أدب، وكل شرف، يلزم أن يرتكز على جمع وتنمية كل أنواع الغنى وإرضاء المتعة (تحقيق الشهوات).

٥٩. إن القانون يتمثل في الفعل المادي، والواجبات الإنسانية كلام فارغ، وكل الأفعال الإنسانية لها قوة القانون.

٦٠. ليست السلطة شيئا إلا مجموع عدد القوات المادية.

٦١. إن المظلمة القائمة المكللة بالنجاح لا تخدش في قداسة القانون.

٦٢. ينبغي أن يعلن ويحترم ما يدعى بمبدأ عدم التدخل.

٦٣. يسمح برفض طاعة الأمراء الشرعيين وكذلك الثورة عليهم.

٦٤. بقدر ما يكون انتهاك الميثاق الأقدس أكثر عارا من أي عمل إجرامي ومخالف للقانون الأبدي، ليس فقط لا ينبغي أن يلام على فعله، ولكن يعتبر مباحا ومستحقا للمدح والتنويه الكبيرين حين يكون ذلك في سبيل حب الوطن.

الفصل الثامن

أخطاء حول الزواج المسيحي

٦٥. لا يمكن الإقرار بأي حجة بأن المسيح قد رفع الزواج إلى مستوى كرامة الطقس الديني.

٦٦. إن الطقس الديني الخاص بالزواج ليس إلا شيئا ملحقا للعقد (عقد الزواج)، ويمكن أن يكون منفصلا عنه، بل الطقس الديني نفسه ليس إلا مباركة دينية فحسب.

٦٧. انطلاقا من الحق الطبيعي، فإن علاقة الزواج ليست مستحيلة الفسخ، بل في العديد من الحالات، فإن الطلاق بعينه يمكن أن يصدر عن السلطة المدنية.

٦٨. ليس للكنيسة الحق في أن تضع عوائق لاغية أو مانعة في وجه الزواج. ولكن هذا الحق هو للسلطة المدنية التي عليها أن تزيل كافة العوائق القائمة.

٦٩. إن الكنيسة على مر العصور قد وضعت عوائق وموانع لاغية للزواج، لا لحق هو لها، ولكن استغلالا منها لحق استعارته من السلطة المدنية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧٠. ٧٠. إن قوانين مجمع ترانت التي تدين من يتجاسر على إنكار حق الكنيسة في فرض الموانع اللاغية للزواج ليست تعبدية، ولا أن يفهم أنها ضمن حدود السلطة المستعارة (م ـن الس ـلطة المدنية).

٧١. إن قوانين مجمع ترانت ليست ملزمة بل قد تعتبر باطلة، إذا أقر القانون المدني شكلا آخ ـر من الزواج يمكن اتباعه، ويريد عبر هذا الشكل الجديد جعل الزواج صحيحا.

٧٢. بونيفاس الثامن **Boniface VIII** كان أول من أعلن بأن وعد العفة الـ ـذي يُعلـ ـن حين ترسيم الرهبان يجعل الزواج عديما.

٧٣. بقوة العقد المدني الخالص، يمكن لزواج حقيقي (صحيح) أن يتم من المسيحيين، ومن الخطأ الاعتقاد أن الزواج بين المسيحيين يلزم أن يكون دائما عبر طقس ديني، أو أن يعتبر الزواج لاغيا دون هذا الطقس.

٧٤. تعود أسباب الزواج والخطبة بطبيعتها الخاصة إلى التشريع المدني.

يشير النص الأصلي للمدونة هنا إلى خطأين آخرين وهما:

– إلغاء عدم زواج الرهبان، أو ما يدعى في لغة الكنيسة بـ ."العزوبة الكنسية"

– تفضيل حالة الزواج (بالنسبة لغير الرهبان) على حالة العزوبة(أو حالة البكارة كما تسـ ـميها الثقافة الدينية المسيحية).

هذان الخطآن مشار إلى شجبهما في الرسالة **Encyclique Qui pluribus** بتـ ـاريخ ٩ نوفمبر ١٨٤٦ بالنسبة للأول، والرسالة الراعوية**Multiplices inter** بتـ ـاريخ ١٠ يونيو ١٨٥١ بالنسبة للثاني.

الفصل التاسع

أخطاء حول السلطة المدنية للحبر الروماني (البابا)

٧٥. إن أبناء الكنيسة المسيحية والكاثوليكية يناقشون فيما بينهم تجانس وتوافق الملكية الدينيـ ـة والسلطة الروحية

٧٦. إن إلغاء السيادة المدنية التي يملكها الحبر الروماني ستدفع إلى المزيد من الحريـ ـة والسـ ـعادة للكنيسة.

يشير النص الأصلي للمدونة هنا إلى الملاحظة الآتية:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إضافة إلى هذه الأخطاء المشار إليها بوضوح، هناك عديد من الضلالات شجبت بشكل غير مباشر من طرف العقيدة المعروضة والمساندة والتي على الكاثوليك جميعا التمسك بها بقوة والمتعلقة "بالإمارة المدنية" للحبر الروماني.

هذه العقيدة مدروسة بوضوح في الخطاب **Quibus Allocution** بتاريخ ٢٠ أبريل ١٨٤٩، وفي الخطاب **Si Allocution quantisque** بتاريخ ٢٠ مايو ١٨٥٠، والخطاب "الرسولي" **Lettre semper antea** بتاريخ ٢٦ مارس ١٨٦٠، والخطاب **Ecclesia apostolique Cum Catholica** بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٨٦٠، والخطاب **Allocution Jamdudum cernimus** بتاريخ ١٨ مارس ١٨٦١، والخطاب **Allocution Novas** بتاريخ٩ يونيو ١٨٦٢. **Allocution Maxima quidem**

الفصل العاشر

أخطاء تتعلق بالليبرالية المعاصرة

٧٧. في عصرنا، ليست هناك فائدة في أن تكون الديانة الكاثوليكية هي الديانة الوحيدة للدولة.

٧٨. لذا لزم التنويه ببعض الدول ذات الاسم الكاثوليكي التي يسمح القانون فيها للأجانب الذين جاءوا للاستقرار بالبلد بأن يتمكنوا من الممارسة العلنية لطقوسهم الدينية الخاصة.

٧٩. وبالفعل، فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن الحرية المدنية لكل الممارسات الدينية، وأن الحق الكامل المخول للجميع بالإعلان بشكل مفتوح وعلني عن أي رأي وعن أي فكر، كل ذلك سيؤدي بسهولة إلى فساد الأخلاق والعقول، وأنه ينشر وباء اللامبالاة.

٨٠. يمكن للحبر الروماني – بل يجب عليه – أن يتصالح ويتعامل بإسهام مع التقدم والليبرالية والحضارة المعاصرة.

من آثار المدونة

لقد تبين لنا من هذا العرض السريع أن تاريخ العلمانية شديد الارتباط بالمسيحية، ذلك أن الفكر العلماني ترعرع أساسا في إطار المناخ الديني للمسيحية، وخاصة منها الجانب الكاثوليكي. فالمصطلح لم يتبلور للدلالة على تيار مناهض للتوجه الديني السائد إلا بعد سنة ١٨٤٢، حيث انتقل من دلالته الدينية على الشخص المعتنق للمسيحية – لكنه ليس من رجال الدين – إلى دلالة أوسع تشير إلى تيار يطالب بترع الصفة الدينية عن المؤسسات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلقد ظل القرن التاسع عشر الميلادي قرن ثورات بامتياز، حيث استطاع فكر الثورة الفرنسية أن ينغرس إلى أن أصبح له اتباع كثيرون في الوسط الكنسي نفسه الذي ظل يعاديه حينا من الدهر(على الرغم من أن رجال دين مسيحيين شاركوا فكرا وتوجيها في اندلاع الثورة الفرنسية على الكنيسة والدولة سنة ١٧٨٩).

كما أن تطورات الفكر الجمهوري في فرنسا ما بعد ١٨٧٠ جعلت المصطلح لصيقا بالفكر المطالب بالديمقراطية والحرية والمساواة، وخاصة حين صاغ جول فيري (**Jules Ferry**) مشاريعه حول المدرسة والتربية، حتى ليمكننا أن نعتبر سنة ١٨٧٠ سنة الولادة الفعلية والعملية للمصطلح، وهي السنة التي انتهت فيها السلطة الفعلية للبابا بيا التاسع، رغم حرصه على عقد مجمع مسكوني – بعدما لم تغن التوجيهات والرسائل في الحد من الأزمة – وإصداره قانون عصمة البابا الشهير، ظنا منه بأنه الحل الأمثل(مثلما تعمد بعض أنظمتنا إلى التنصيص في دساتيرها على قداسة الحزب أو الرئيس). فالأزمات السياسية وضياع الأراضي الفاتيكانية جعلت البابا يوقف المجمع، ويفر من روما خوفا على نفسه، مما جعل الساحة منذئذ خالية من المعارضة الدينية بشكلها التقليدي.

ونحن لا نريد فتح الباب أوسع مما فعلنا لدراسة تطور الفكر العلماني عبر الصراع مع الفكر السلطوي الكنسي، ذلك أن التحليل التاريخي لتطور الفكر العلماني يسمح بالجزم بأن الأس الفلسفي الأول الذي بني فوقه الصرح العلماني في القرن التاسع عشر خاصة هو "تمكين الجميع من الوصول إلى معين المعرفة" بعد أن كانت محتكرة بين رجال الدين ورجال الفلسفة. لكن هل بقي وفيا لذلك؟ وهل استطاعت الكنيسة أن تنافسه في جانب من ذلك؟ هذا أمر يحتاج إلى دراسة أوسع، وحسبنا ما أمددنا به الباحثين والمؤرخين من نص ديني نعتبره عنصرا هاما من عناصر الصراع المسيحي العلماني.

لكن ما نستطيع قوله في هذه العجالة حول المسارات التي اتجهت لها كل من المسيحية والعلمانية هو التوافق على نوع من الصراع السلمي، والاحتكام إلى النفوذ الشعبي، مما جعل الكنيسة – حرصا على الجماهيرية والشعبية – تدخل تجديدات جذرية في فهومها للنص الديني لا تكاد تمليها حاجتها الداخلية لبلورة النص وتفعيله وفق أحكامه ومكونات تراثه، وإنما يفرضها الجدال السياسي والتدافع السلطوي لاكتساب مرجعية توجيهية للمجتمع وصناعة غده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل لمسنا أنه بقدر ما يتقدم الزمن، بقدر ما تتزيل الصفوف، ويكثر الانقسام داخ ـل المجموع ـات الفكرية والثقافية والمذهبية، ليفسح المجال لتوالد أفكار ومجموعات أخ ـرى له ـا رؤى جديـ ـدة، وأطروحات تعطي للقديم نفسا متجددا، بل تذهب به إلى تفسيرات مخالفة لما هو متعارف عليه في الوسط الديني التقليدي.

لكن الملاحظ أن كلا من الطرفين المتصارعين يحتـ ـاج إلى المفكـ ـر والمثقـ ـف، والعـ ـالم الراسـ ـخ والاستراتيجي النابغة، لكن غالبا ما يبحث كل منهما عن المفكر أو المثقف أو المتعـ ـالم "المـ ـؤجر لشدقه" كما نقول في بلاد المغرب، فيدخل كلاهما في مجال تصنيف الناس والحكم عليهم حسب الولاء والانتماء. بيد أنه لا شيء يدل على أن المنخرط في التيار العلماني الحزبي هو خارج دائـ ـرة التدين، ولا شيء يمنع المتدين من البحث عن الحكمة ومناصرة الأفكار النيرة، لكن لشهادته على الناس، يلزمه في كل المراحل الولاء للدين الحق، والبراء من الجهل والظلم، والابتعاد عن التحجر المذهبي أو الاستبداد الفقهي.

فلقد كانت الصفوف منقسمة، والآراء مختلفة، وما زالت، ورأينا عبر تحليل المدونة أن من يرغب في أن يحجر واسعا عبر تقنين أقوال الناس حسب المواقف السياسية لا يخلو من ضلالة وابتعاد عن النهج السوي، إذ من الصعوبة بمكان أن تكمم أفواه الناس، أو أن يخنعوا طـ ـول الـ ـدهر علـ ـى الاستبداد الديني والمذهبي، أو أن يغفلوا عن الخلل في الأولويات لدى رجال الدعوة حين سكوتهم البين عن ظلم اجتماعي صارخ، واهتمامهم أكثر من اللازم بجوانب عبادية فردية.

بل إن الدراسات التاريخية لمسار الفكر المسيحي تخبرنا أن معدلات الجهر بمكنون الأفكار لـ ـدى المجتمع المسيحي الأوروبي تطورت بعد صدور المدونة وهيجان أوساط المثقفين والسياسيين متدينين وعلمانيين في وجهها. فمثلا في الوقت الذي نجد فيه مثقفا مسيحيا في مستوى ج – ج غوم (J. J. Gaume) الذي بكتابه "الثورة الفرنسية: أبحاث تاريخية عن أصل الشر وشيوعه في أوروبا " الصادر سنة ١٨٥٦، يعتبر الثورة الفرنسية أم الأمراض، والوباء الذي أبطل حكم الله، وفرض نظاما دينيا جديدا يؤله الإنسان، ويهدد أوروبا قاطبة، فإننا نجد أحد أتباع الكنيسة والمنخرطين في هرمها السلطوي المحلي الراهب ج. أوديزيو (G. Audisio) يكتب بعد عشرين سنة عـ ـام ١٨٧٦م حول إرث الثورة الفرنسية، ويعتبر أنه ليس شرا كله، بل كل ما فيه من دفـ ـاع عـ ـن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحرية والأخوة هو عين ما تنص عليه الأناجيل من مبادئ اجتماعية، ويرى أن النظام الاجتماعي الجديد وقتها ينبغي أن يقوم على ذات المبادئ[٢٤].

أكيد أن السلطة الكنسية العليا لم تكن بعد قد بلغت مستوى من الوعي الثقافي النسبي فأدرجت كتاب الراهب أوديزيو على لائحتها السوداء، ولكن ما تهمنا الإشارة إليه هو أنه إلى حدود تاريخ "مجمع الفاتيكان الأول" (١٨٦٩- ١٨٧٠)، كان نموذج المثقف المسيحي ج.ج غوم في الوسط الديني الرسمي هو السائد، حيث كانت الكنيسة تعتبر الثورة الفرنسية بمثابة السوار الأخير من القيد الديني، والذي انطلق تكبيل الكنيسة به منذ عصر النهضة وثورة الإصلاح البروتستانتي إبان القرن السادس عشر الميلادي.

ومن المسلم به تاريخيا أن ردود الفعل على إصدار المدونة كانت قوية ومؤثرة، سواء على المستوى الديني أو الفكري أو السياسي. ويصعب علينا في هذا البحث الوجيز أن نأتي على كافة تلك الردود وآثارها ونتائجها. لكن لا بأس من أن نشير إلى بعض ردود الفعل السياسية إذ يبقى التساؤل الآتي قائما: إذا كانت جموع المثقفين من علمانيين ودينيين قد عبرت عن غضبها ورفضها للانصياع للمدونة، فكيف كان تصرف الكنائس الرسمية والأحزاب المسيحية في أوروبا نحوها؟

نوجز جانبا من الجواب فيما يلي:

ففي فرنسا كانت الأزمة أشد بصدور دوري وزير العدل الفرنسي "باروش" (Baroche) بتاريخ فاتح يناير ١٨٦٥ الموجهة للقساوسة بعدم نشر أي وثيقة صادرة عن الإدارة الكنسية بروما، مما فجر احتجاجا شديد اللهجة من طرف هؤلاء على المس بحرياتهم، حيث بقي الجميع ينتظر مواقف الليبراليين الكاثوليك الذين لم يعبروا عن رأيهم إلا في آخر شهر يناير من تلك السنة.

---

(٢٤) راجع العدد الخاص من المجلة الدولية للاهوت (Concilium) الخاص عن الثورة الفرنسية والكنيسة، الصادر بمناسبة الاحتفال بالذكرى المائتين للثورة في يناير ١٩٨٩، العدد ٢٢١، وخاصة بحث د. دانيال مينوزي (إيطالي) بعنوان "أهمية رد الفعل الكاثوليكي تجاه الثورة"، ص ٨٣ – ٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكـ ـن حنكـ ـة أسـ ـقف مدينـ ـة أورليـ ـون (Orléans) الفرنسـ ـية البطريـ ـك "دوبانلوب" (Dupanloup) بإصداره لدراسة بتاريخ ٢٦ يناير ١٨٦٥ بعنوان: "اتفاقيـ ـة ١٥ سبتمبر ولائحة ٨ ديسمبر"[٢٥]، والتي كان لها صدى واسع إذ عرفت ٣٤ طبعة في بضـ ـعة أسابيع – مما يدل على وجود صدى للفكر الديني رغم ارتفاع معدلات الإلحاد – قد استطاع أن يحد من الانتقادات الموجهة للكرسي "الرسولي"، ويخفف من وطأة ردود الفعل السلبية نحو المدونة بإعادة قراءتها في ضوء المناخ السياسي الفرنسي.

أما ببلجيكا فإن الكاثوليك الليبراليين أو الكاثوليك الدستوريين قد وجدوا أنفسـ ـهم في ورطـ ـة سياسية شبيهة بتلك التي فجرها البابا غريغوار السادس عشر (Grégoire XVI) برسالته المعنونة "ميراري فوس" (Mirari Vos) بتاريخ ١٥ أغسطس ١٨٣٢م – والتي قصد منها كما قلنا إسكات الكاتب المسيحي "لامـ ـوني" (Lamennais) وجماعتـ ـه، ومنـ ـع مجلتـ ـه "المستقبل" (L'avenir) ذات الخط التحرري والتأثير القوي في الأوساط الدينية – فعمـ ـدوا إلى حل ينطلق من أن البابا بقي متمسكا بالأطروحة (la thèse)، أي بالجوهر، ولم يقل شيئا عن فرضيات التنزيل على الواقع (l'hypothèse)، ولهذا فهم يرون أن البابـ ـا لم يقصـ ـد معاداة الحداثة، بقدر ما أصر على إظهار المواقف التقليدية للكنيسة التي هي مـ ـن كامـ ـل حقـ ـه وسلطته.

وبمثل هذه المراوغات الأيديولوجية، استطاع الكاثوليك في بلجيكا وفي غيرها من دول أوروبا أن يصرحوا بأنهم دستوريون فيما يخص الجانب السياسي، ومؤمنون بدور البابا فيما يخص الجانـ ـب الديني، أي أن عاطفتهم الروحية مع الكنيسة، وانخراطهم الأيديولوجي والفكري مع ما يضـ ـمن التربع على الكرسي السياسي.

وما زلنا إلى اليوم، نجد داخل الصف المسيحي من يسعى إلى عودة الكنيسة إلى قواعـ ـدها الأولى، والحكم عليها بالضلال والتنازل عن رسالتها وأهدافها، خاصة بعد أن أضحى الإسـ ـلام واسـ ـع

---

(٢٥) سبقت الإشارة أنه في ١٥ سبتمبر ١٨٦٤ وقعت اتفاقية بين نـ ـابوليون الثالـ ـث وملـ ـك بييمونت " فيكتور إيمانويل" Victor-Emmanuel على أن تسحب فرنسـ ـا قواتهـ ـا الحامية للبابا على مدى سنتين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الانتشار في الأوساط الأوروبية وسريان الخوف في أوساط الساسة المسؤولين من "الأسلمة" الزاحفة للمجتمع الأوروبي.

وأنا أراجع هذا المقال للنشر، اطلعت على عدد من مجلة "فيديليتر" (Fideliter)[٢٦] والتي تصدرها مجموعة من الكاثوليك الراديكاليين المنضوين تحت منظمة "إخوانية القديس بيا العاشر" (والتي أسسها الكاردينال لوفيبر (Lefebvre Cardinal) الذي غادر مغاضبا الإدارة الكنسية محتجا على الانقلاب على تقاليد الكنيسة المتجسد في أعمال وقرارات مجمع الفاتيكان الثاني)[٢٧]، خصص للحديث عن سيلابوس بيا التاسع، العدد ١٦١، بتاريخ سبتمبر – أكتوبر ٢٠٠٤؛ وهو عدد غني بالأبحاث وبعض المواقف لمن يمجدون المدونة وأفكارها، لكن المثير فيه هو أن أصحابه يحبون أن ينعتوا ب– "كاثوليك السيلابوس"، حيث جاء في العنوان العريض لإحدى دراسات العدد: "نحن كاثوليك السيلابوس" (Nous sommes des Syllabus "catholiques du")[٢٨].

وقد كان من المفيد الاطلاع فيه على رأي الجماعات الدينية المسيحية التي مازالت تؤيد وتساند مضامين السيلابوس، وتعتبره وثيقة هامة وضرورية في وجه الحداثة وويلاتها الأيديولوجية. بل جاء

---

(٢٦) رغم عدم الإعلان الصريح في صفحات المجلة عن الجهة المالكة، يبدو من خلال مقالاتها وملفاتها أنها صادرة إما عن الجمعية الراديكالية "أخوة القديس بيا العاشر" (Fraternité Sacerdotale Saint Pie X)، وإما عن جهة أخرى مثل جمعية "أصدقاء المسيح ملك فرنسا" (Amis du Christ Roi de France).

(٢٧) اضطر الكاردينال – نظرا لمعاكسته لنتائج مجمع الفاتيكان الثاني الذي لمس تدخل اللوبيات المتعددة في أشغاله ت أن يستقيل في أكتوبر ١٩٦٨، وأن يؤسس على غير رضا الكنيسة "حزبه الديني" في فاتح نوفمبر ١٩٧٠ تحت منظمة "أخوة القديس بيا العاشر" (Fraternité Sacerdotale Saint Pie X).

(٢٨) الدراسة مقدمة من طرف الأسقف "برنارد تيسييي دو مالري" (Bernard Mgr Tissier de Mallerais)، وهو أحد الأساقفة الذين نصبهم المنشق عن الكنيسة الكاردينال مارسيل لوفبر ١٩٩١–١٩٠٥) Marcel Lefebvre)، ويرأس الآن جمعية "أخوة القديس بيا التاسع" التي أسسها الكاردينال المذكور، صفحات ١٩–٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الملف المخصص للسيلابوس والاحتفال بذكرى مرور ١٤٠ سنة على إصداره تحت عنوان معبر عن أفكار منظمة "إخوانية القديس بيا العاشر": "السيلابوس أو مجمع الفاتيكان الثاني المضاد" (**II Le syllabus ou l'anti-Vatican**).

كما أن "النشرة الأدبية المضادة للثورة: قراءة وتراث" (**Bulletin littéraire contre-révolutionnaire: Lecture et Tradition**)، في عددها المخصص للبابا بيا التاسع ومدونته[٢٩]، تعبر خير تعبير عن فكر هؤلاء الراديكاليين وحرصهم على إعادة الروح للمدونة البابوية وتوجهاتها وضرورة الالتزام الصارم بقوانينها. بل نلمس فيها إرجاع كل البلايا إلى الماسونية، والتي بالفعل ساهمت إسهاما كبيرا في زلزلة العرش المسيحي وانهيار إمبراطوريته.

ففيها يقول الراهب الراديكالي "جاك بلونكار داساك" (**Jacques Ploncard d'Assac**) في محاضرته حول السيلابوس بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٨٤:

"ليس أمام طوفان البدع والأخطاء إلا موقفان في مجال الإمكان: التحدي والتسامح. فبالتسامح نصل بسرعة إلى القبول، ولهذا كانت الكنيسة دائما تنادي بحقوق الله في مواجهة ما يدعى بحقوق الإنسان، فالإنسان لم يوجد إلا من طرف الله ومن أجل الله. فكل تصور مخالف لا يمكن أن يكون كاثوليكيا، أي ملتزما بالأصول"[٣٠].

كما يشير ذات المحاضر إلى أن الخطر يكمن في كون الأخطاء قد غزت الكنيسة نفسها مشيرا إلى أنه لا يدعي ذلك من تلقاء نفسه، ولكنه يستشهد بنص للبابا بيا العاشر من رسالته الدائرية "باساندي" (**Pascendi**):

"إن مروجي الأخطاء لم يعد يجدي البحث عنهم بين الأعداء المعلنين للكنيسة، بل إنهم يختبئون – وهذا أمر يدعو إلى القلق الشديد – داخل وفي قلب الكنيسة نفسها... فليس في الخارج، بل في الداخل يتكون الخراب، والخطر اليوم داخل أمعاء الكنيسة وشرايينها، ويواصل بتحد ومثابرة

---

(٢٩) سبقت الإشارة لرقم وتاريخ العدد في الهامش ١٨.

(٣٠) المرجع نفسه، ص ٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مخططه المحدد... فهو يدعو (رجاله) ليظلوا داخل الكنيسة للعمل وللتغيير شيئا فشيئا لتشكيل الضمير العام".

ثم يتساءل الأستاذ المحاضر حول ذلك التناقض العجيب الذي تعيش فيه الكنيسة بعد التعبير عن الأسى لما وصل إليه ضلالها وبعدها عن النصوص الدينية المسيحية: "كيف يمكن للمسيحي أن يكون بخصوص نفس الفعل والتصرف على حق في عهد البابا بيا العاشر، وعلى ضلالة في عهد يوحنا بولس الثاني؟"

ونحن كذلك نتساءل نفس السؤال، لكن بصيغة أخرى: "كيف أنتجت المسيحية الفكر العلماني، ثم صارعته قسرا وانخرطت فيه دهرا؟ وكيف عد مجمع الفاتيكان الثاني انقلابا؟". ذلك ما حاولنا الإجابة عنه في دراساتنا غير المنشورة حول "نقد العقل المسيحي"، نسأل الله أن يمدنا بعونه، ويشملنا برحمته وفضله، لترى النور قريبا.

من الدروس المستفادة

لم تكن ترجمتنا لنصوص هذه المدونة رغبة في دراسة التاريخ المسيحي الكنسي خاصة، ولكن مقاربة منا لما يمكن أن ينتج من صراع مماثل بين المؤسسات والجمعيات والحركات الإسلامية وتيارات الحداثة العلمانية، فليس عجبا أن نرى اليوم وغدا مؤسسات قوية الدعم والنفوذ الدولي، داخلية وخارجية، تحاسب الجهات الدينية على خطابها وتنظيمها ولغتها، وتلومها على تمسكها بالثوابت، وعدم انفتاحها على الديانات الأخرى، ملزمة إياها بالخضوع لما تراه تلك المؤسسات ذات التجربة الاستراتيجية والحنكة المستقبلية ضروريا من لوازم الحرية الدينية والفكرية؛ وليس غريبا أن نسمع بأخرى تطالب بإسلام علماني يلقى نوعا من الدعم على أن لا يتجاوز بعض الطقوس ويؤول العديد من النصوص.

بل ولا فزع من أن تبرز للوجود فئات وتنظيمات تطالب وتقنن للزواج المدني، والولادة المدنية، والموت المدني، بعيدا عن كل الطقوس الدينية، مفجرة لسيل من الانتقادات في وجه تلك المشاريع، خاصة من طرف الفئات المتشددة والمكفرة لمن يخالفها في الرؤى والتوجه، علما بأن الفوارق بين السلطة الكنسية والمؤسسات الإسلامية كبيرة، وبين الإسلام والمسيحية أكبر، لكن الدروس المستفادة من صراع الحداثة والمسيحية البارحة واليوم بليغة الدرس للاستفادة والمراجعة، وإتقان وترشيد المواجهة الفكرية والتدافع الفلسفي والإيديولوجي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمعلوم أن الفكر الكنسي التقليدي لم يكن في مستوى المواجهة لكونه ظل على مدى قرون معطلا للعقل، فله مع العقلانية في تاريخه البعيد والقريب حروب وسجال، حيث تشهد وقائع ذلك التاريخ على الحجر الكبير الذي وقع على رجال الدين في تحليلهم النظري ونقدهم الفكري لتراثهم الديني، مما دفع بعضهم إلى الجهر عبر المجلات والكتب والنشرات – والتي ازدهرت صناعتها مع تطور الطباعة – بآراء وأفكار تخالف تفسيرات السلطة الكنسية للنص الديني، وتطالب بمزيد من الحرية في مجال العلم والمعرفة والدفاع عن حقوق الناس السياسية والمدنية.

فبمجرد ما كان الأتباع يخالفون الكنيسة في الفكر ووجهة النظر، أو يعاكسون ولو قليلا فكر ونظر رجالاتها الرسميين – وعلى رأسهم البابا – في تفسيرهم للنصوص الدينية، يصبحون في نظر السلطة الدينية من الذين يخلطون بين الحق والباطل، والخير والشر، والعدل والجور، ويتجاوزون الحدود باسم الحرية، ويقولون في الله ونصوص وحيه وشريعته القول العظيم.

فمن الفقرة الأولى للمدونة نلمس الجمع بين فكرة تأليه الإنسان، ونفي وجود الإله، وبين غياب أي معيار للتمييز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، والعدل والظلم. وهذا الغلو في الاتهام للمخالف هو ما جعل رماح الدفاع التي استعملتها السلطة الكنسية تنقلب إلى صدرها، فكان الضرر الناتج عنها أكبر بكثير مما يحتمل أن يصل من أدواء من معتنقي المقالات "الخاطئة" أو المروجين لأفكارها.

فماذا جنت الكنيسة من مثل هذا النص ومثل هذا الموقف إلا النكوص والتقوقع والانكماش؟ فلقد كانت ثمار المدونة بعكس ما أريد منها. فمثلا مما دفعت إليه المقولات والأفكار الواردة ضمن الفصل الثامن مثلا المتعلق بأخطاء وضلالات الزواج هو اعتبار الطلاق أمرا شرعيا وقانونيا بفرنسا سنة ١٨٨٤. كما أن الحرب السياسية والعسكرية اشتدت بالممتلكات البابوية بحيث في سنة ١٨٧٠وجد الكرسي البابوي نفسه قد فقد السلطة على الأراضي التي كان يملكها، ولم يستطع أن يسترجع نوعا من السيادة السلطوية إلا على مساحة من مدينة روما، والتي تسمى اليوم بدولة الفاتيكان، وذلك سنة ١٩٢٩، قدرها ٠,٤٤ كلم مربع.

كما أننا من خلال التمعن في نصوص المدونة ودراسة شكل تحريرها، ندرك الخلط الذي وقعت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيه حين عمدت إلى تفسير الأقوال والأفكار السائدة – وال تي تص فها بالأخط اء الخط يرة والضلالات الكبيرة – بعيدا عن أصولها ومراجعها ونصوصها التي حررت وفقها، مثل ما تفع ل بعض الفئات المسلمة التي باسم الكتاب والسنة، تعمد إلى تصنيف الأفكار الفلسفية والسياس ية المعاصرة ضمن لوائح الضلالة والبدعة دون قراءة متزنة وتمحيص علمي رش يد، ودون رج وع للأصول التي كتبت بها والسياقات التي قيلت فيها، خاصة إذا كانت نابعة من ب ني إس رائيل أو الصهيونية المسيحية أو غيرها من الجهات التي تعلن العداء للإسلام، بيد أن الأمر في كل مرحل ة وكل لحظة، وأيا كان المصدر وأيا كانت درجات كرهه للـ دين، يحت اج إلى العل م والبح ث والرجوع إلى الأصول واستشارة أولي النهى من الخبراء والعلماء وأهل الدراية والمعرفة، وإلى أهل الاختصاص في كل مجال من المجالات، وذكر الأشياء كما وردت حسب ظروفها وس ياقاتها دون زيادة أو نقصان أو تحيز.

أما العمد إلى قراءة القرآن الكريم عضين، وإخراج نصوص السنة المطهرة عن س ياقها لإقام ة الدليل على تصنيف الناس ضمن الفرق غير الناجية، فإنه سيحشرنا – إن لم يكن قد تم ذلك – في مناخ شبيه بما عاشته الكنيسة التي كانت مواقفها غير المدروسة خير مس اعد لفق دها المواق ع والأتباع.

فقد أبطل الله بسننه ما قام به قوم خلوا من قبل من المسلمين وغيرهم، كما هو الش أن بالنس بة للسلطة الكنسية التي ندرس الآن أحد نصوصها الخطيرة، في منعرج تاريخي خطير، سمح لغيره ا بالبزوغ، ومكن لمخالفها من السؤدد بفضل أخطائها وضلالتها، في الوقت الذي كانت تظن فيـ ه أنها تحسن صنعا. وكما كانت سنة الله قائمة قبل قرن ونيف، فإنها مازلت قائمة إلى اليوم، وستظل كذلك لقرون مهما تعدد الأعوام والسنون، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

فمعدلات العلمنة اليوم ترتفع بقوة، في التعليم والإعلام والإدارة وأنماط التشريع وتوزيع السلط، مما يقلص الدور التقليدي للدين، ويدفع بعض أتباعه للانفعال، ويفتح عليهم من ك ل ص وب أبواب النقد إلى حد الشتم والاستهزاء والازدراء، بشكل يروج في أوساطهم للإع داد للـ ترال وترقب القتال، وحالة كهذه لا محالة ممكنة – مثل ما كان الحال مع الجاز ب المس يحي – م ن ارتكاب أخطاء شتى من طرف جهات إسلامية يمكن تفاديها، ومواقف س اخنة م ن مفكـ رين وباحثين متدينين سرعان ما يتم التنكر لها بعد اشتداد الاحتجاج وإتقان صرفه في تأليب الغض ب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعبي، بل استفادة الجهات التي تمرنت على الاستفزاز منه لاستصدار المؤيد لمواقفها المزاحمة من القرار السياسي، والمساعد على المزيد من الخنق والكبت للعنصر الإسلامي.

فلكم ود الذين لم يستوعبوا تطورات الواقع الفكري والثقافي والسياسي لو أن لنا مدونة تجرم كل نيل من الدين أو توجه يرونه مخالفا للشرع الحكيم، بيد أن الخير كل الخير هو قبل كل شيء في تشكيل العقول قبل إجماعها هي ذاتها تلقائيا على احترام ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فما عسى ينفع نص يحصي البدع والمنكرات، لمجتمع معظمه لا يجد غضاضة من ضلالة، ولا يحرك يدا ولا لسانا لتغيير منكر.

كما ود المرجفون في بلاط النظام العالمي لو أن للمسلمين هرما سلطويا دينيا على المستوى العقائدي يستطيع أن يقف مثل المواقف المتحجرة للكنيسة في القرون الخالية، فيرسل إليه شواظ ملتهب تلو الآخر من كتاب ومفكرين يحسنون القذف بمناجيق النقد والاتهام دون مراعاة لقيم، من النوع الذي تلمع مؤسسات الدعم والتأييد صورتهم، وتحمي الدعاية منابرهم وتروج خطابهم، بحيث – من شدة وطأة نقدهم وكثافة نبال هجومهم – يدعى ذلك الهرم السلطوي إلى اجتماع في شبه مجمع لاتخاذ قرارات ومواقف تعيد النظر في ثوابت العقيدة، وتقلب فيها التوجيهات الربانية والرسولية رأسا على عقب.

نقول ذلك همسا في أذن من ينتظر الحل في تدوين لوائح فرق أهل البدع والضلالات، وتحرير القوائم السوداء للملل والنحل الأفاكة، أو إصدار فتاوى المقت وبيانات التشهير، فالحكمة والدرس البليغ في الالتفات نقدا وتحليلا للمستقبلات المفقودة منذ أزمنة، وفي مجال التعليم والتربية وإعداد الناشئة خاصة، وقوة ارتباط ذلك بالقرآن الكريم نصا وعلما ومنهجا. فالذين ساءهم أن يأتي الناس بحصادهم للسوق، لن يغني شتمهم للسلع المعروضة عن مسؤوليتهم في الغفلة عن الفعل زمن الزرع، ولا بمجد هيجانهم شيئا ضد الزراع في موسم الحصاد.

بل الأولى العمد إلى تشخيص الواقع تشخيصا دقيقا، والبحث عن العناصر الممكّنة من الحفاظ على الموجود، والأدوات الميسرة لإيجاد المفقود، دون كبير ضجيج ولا تهويل لمخططات الغير. فالعارف بالأوضاع ومحركاتها، والمتأهب للاستفادة من دائرة المستطاع وإمكاناتها، يحسن الاستفادة من الوضع الديني والحالة الاجتماعية والتاريخية في أي زمان ومكان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ففي نفس السنة التي صدرت فيها المدونة البابوية (١٨٦٤م)، صدر في المغرب ما دعي من بعد بظهير[٣١]"الحرية الدينية" من طرف السلطان الحسن الأول إثر حادث جنحي تدخل في شأنه كبار اليهود في بريطانيا لحماية أحد أتباعهم متهم بجريمة قتله أحد الأجانب من طرف القضاء المغربي. فاستغل اليهود – وحق لهم ذلك – صدور الظهير لتأسيس المدارس والمؤسسات التربوية بمعزل عن أي توجيه رسمي؛ فما كاد القرن التاسع عشر يؤذن بالذهاب، حتى كان المجتمع اليهودي بالمغرب قد وصل في مجالات صقل الذهن ومحو الأمية وإعداد الأجيال إلى مستويات تضاهي ما كانت أوروبا قد بلغته منذ سنة ١٨٣٠، مع تطعيم روادها وطلبتها بجوانب إيديولوجية ظهرت آثارها فيما بعد.

وحتى نزيد الأمر وضوحا، نضرب المثل بأننا كثيرا ما نتكلم عن التنصير، أو الردة، أو التنكر لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وننسى أن غياب الاستثمار العلمي والفكري والثقافي والدعوي، بعيدا عن كل استغلال سياسي في شتى الواجهات وفي كل المستويات وبكل المؤسسات، هو ما مكن ويمكن – وفق سنة التدافع الراسخة الثابتة – من بزوغ ملل ونحل قديمة ومستحدثة في أوساط المجتمعات، فضعف التدين في ضعف العلم، وانتشار الباطل هو في عدم عناية أهل الحق بأصوات الحق، ومنها – بل على رأسها – العالم الراسخ القدوة المؤلف للقلوب، العارف المتقن لكلام علام الغيوب، الملتزم بمنهج المصطفى في التعامل مع الناس على مختلف شرائحهم الاجتماعية ومذاهبهم الفكرية وتوجهاتهم الدينية، بكل رحابة صدر ورحمة وعطف.

ذلك أن الإصلاح يقتضي مهارة في الطب، طب المجتمع من أمراضه المزمنة والمعقدة، اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية، ولقد فصلنا بعض ذلك في بحث يمكن الرجوع إليه حررنا فيه بعض القواعد الاستراتيجية عنوناه: "أوجز القواعد لتحقيق ما نبل من المقاصد"، كان مما ضمناه فيه

---

(٣١) أمر ملكي بمثابة قانون. ويمكن الرجوع لكتاب أحسبه من خيرة ما كتبه الفيلسوف د. محمد عابد الجابري، عنوانه "أضواء على مشكل التعليم بالمغرب" حيث أشار في المقدمة إلى الحركة اليهودية في إنشاء المؤسسات التربوية والمدارس التأهيلية غداة صدور الظهير المذكور.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفصيل وتحليل لقاعدة استراتيجية صغناها كالآتي: "الطب حفظ صحة برء مرض، دون إره اب للمريض، ولا شتم للمرض"[٣٢].

فنحن أحوج ما نكون اليوم إلى العمل على محورين أساسيين:

– محور إتقان اللغات العالمية، إتقانا يسمح بتبليغ رسالة الإسلام صافية نقية، وترجم ة الت راث الإسلامي بعد تنقيحه ترجمة وافية دقيقة، لتحسين صورة الإسلام والمسلمين في الساحة الثقافي ة لكل لغة، مع الاجتهاد عدة وإعداد في توفير العالم الراسخ، العارف لفقه الدين، المتمكن من فق ه الدعوة، المدرك لفقه الواقع، والمتقن للغة قومه ولغات عالمية أخرى تسمح بالتواص ل والح وار والتدافع العلمي والفكري، على دراية وتبصر وحكمة.

– محور معرفة الأديان معرفة دقيقة من نصوصها وثقافتها وفكرها وخطاب رجالاتها ومنش ورات مؤسساتها، بحيث نستطيع أن نعرف مجال التلاقي معها مهما ضاق، ومي ادين الخ لاف مهم ا اتسعت، وذلك يحتاج إلى عدة وإعداد، ومثابرة وحزم، ورسوخ علم، وصبر وثبات وتقوى، وما ذلك على صاحب رسالة وذي بصيرة بعزيز.

فالتيارات الغالبة مثلا تنبؤ بمستقبلات ممكنة، أو صور للغد صادقة الظن، للصين والهند فيها مثلا حضور لا ينكر، ولهذا فقد نحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى من يعرف اللغات والأدي ان المتعددة بتلك الأرض معرفة دقيقة ومتقنة، وكثيرة هي الدروس التي سنستفيدها من ذل ك، دون أن نقدم دنية في ديننا، والذي لا نشك بأنه لقوته وصدق وحيه، لا يهاب أي احتكاك بدين، ولا يضره أي تدافع مع فكر أو ثقافة.

فحري بنا أن نصحو من الغفلة فندرس الملل والنحل دراسة وافية، الملل ذات الت أثير وص ياغة المصير في ساحة التدافع المعاصر، وليس الملل البائدة والنحل الميتة. وذلك يقتضي تجديدا وتطويرا في علوم وفنون الدعوة، فلا نحجم أو نستنكف عن دراسة تشكل وتطور العقل البوذي والعق ل الهندوسي والعقل الماسوني وغيره من العقول التي حتما للدين والثقاف ة في تش كلها وتطورها ا

---

(٣٢) سبق لنا في أحد المواسم الفكرية لاتحاد العمال المسلمين بألمانيا سنة ١٩٩٩ أن قدمنا بصورة موجزة جوانب من ذلك البحث، وسلمناهم نصها المدون ليض عوه عل ى م وقعهم بش بكة الانترنيت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النصيب الأوفى، كما فعل بعض الأساتذة الأجلاء مثل أخينا وصديقنا الدكتور عبد الوهاب المسيري حفظه الله مع العقل اليهودي، والذي ما زلنا نفتقر إلى العديد من الدراسات حول مراحل تشكله وتطوره، وأنماط فعله وتفاعله وحركته.

ذلك أن الحروب التي تشن علينا، الفكرية والثقافية والسياسية والعسكرية، تجعلنا – رغم الفارق الكبير– شبيهي الوضع بما كان يجري قبل قرن ونصف من تاريخنا المعاصر. فلو ترجمت خطبة واحدة من الخطب التي تلقى بمساجدنا بالعالم الإسلامي والغربي، لاستطاعت المؤسسات العلمانية أن تعثر – إذا أحسنت الاختيار– على شيء شبيه بالسيلابوس أو قريب منه، ولن تجد الجهات الدينية المسلمة من مجال إلا التنكر له والابتعاد عنه. وحري بنا – وغباوتنا قد استفحلت – أن ننقح خطاباتنا بما ليس من الدين في شيء، وأن نجتهد في أن لا يعتلي المنبر إلا صاحب فقه في الدين، وفقه في الدعوة، وفقه للواقع.

بل المتمعن في أدعيتنا وحدها، وخاصة منها دعاء القنوت في رمضان، يدرك أننا لا نحسن الصنعة ولا نستقيم على منهاج الملة. بل خلاصة الدعاء – وتلك كارثة كبرى – أننا نحيل كل حل لأوضاعنا على خالقنا جل وعلا، مثل قول قوم موسى له حين أمروا بدخول القرية: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (المائدة:٢٤)، غير مميزين بين التوكل والتواكل، ولا بين الاستعانة والاستقالة، مبرئين أنفسنا من أي عمل أو فعل، معتذرين عن ضعفنا باستحالة قيامنا – والأوضاع كما هي – بما نحن مأمورون به.

بل الأدهى أننا في العديد من أدعيتنا – سواء في القنوت أو خطب الجمع أو غيرها – نسأل الله عز وجل أن يبطل سننه، ويعطل قوانين ملكوته، فيمحق الذين كفروا جميعا فلا نسمع لهم ركزا، ويهلك المنافقين فلا نلمس لهم حسا، ولا أدري لم لا نسأله – والحالة كذلك – أن يخلف وعده لإبليس، فيضع لوجوده حدا.

ولقد حاولت – على ضعف قدرتي وحدود علمي – أن أقدم في هذا البحث المتواضع مثلا لما يمكن أن نستخلصه من الدروس والعبر في معرفة تشكل العقول والأفكار عبر التفاعل الإيجابي والسلبي مع النص الديني أو موقف المؤسسة الدينية، من خلال تناولي بالدراسة والتحليل لنص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مسيحي مغمور كان له دور تاريخي خطير في الصراع السياسي والفكري بين الكنيسة والعلمانية في المجتمع الغربي.

وإن كنت لم أتوسع في الرجوع للنصوص الدينية التي اعتمدتها الكنيسة لصياغة خطابها، فحسبي أن الذي كان يحكم توجهي هو العقل الديني وليس النص مهما بلغ عند أهله من القداسة.

وما لا يدرك كله لا يترك جله، فقد سعيت من خلال المثل المدروس أن أقدم صورة ما أظن أني سبقت إليها – من حيث الحدث والمثال – حول أصول الصراع الديني – الحداثي بأوروبا في التاريخ المعاصر، وستتلوها بإذن الله دراسات مماثلة حول تطور العقل المسيحي عبر التاريخ، وأثر ذلك في تشكل الفكر الغربي الحديث.

وسيظل قصدنا دوما استنباط الدروس واستخلاص الفوائد والعبر، وليس الوقوف على مصائب قوم وتعداد ما لديهم من شاذ المذاهب أو غلو الفكر.

ذلك، ومن رام بلوغ العلا من غير كد ولا إعداد ولا رباط، ولا مراجعة ولا تعبئة ولا تقدير ولا احتياط، فمدركها... إذا ولج الجمل في سم الخياط!

المهندس محمد بريش

خبير في الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

ص ب ٤٥٨٥، عجمان

الإمارات العربية المتحدة

• • • •

قائمة المصادر البابوية الرسمية

التي استوحت منها المدونة نصوص المقالات والأفكار المحظورة

معظم هذه المصادر يرجع إلى رسائل توجيهية وخطابات ترشيدية صادرة عن البابا بيانا التاسع نفسه، ذلك أن مشروعا أوليا للمدونة كان قد رجع إلى مراجع أوسع من ذلك، ففشى سره قبل أن يصدره البابا، فكان الاتجاه حين المراجعة أن يركز أساسا على ما صدر عن البابا نفسه.

ولقد عمدنا إلى عدم ترجمة العناوين اللاتينية للرسائل والخطابات لأنها بمثابة الأسماء لها، وجعلنا بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قوسين – نظرا لتكرار الإحالة على نفس المصدر في المقولات الثمانين – رقم المقولة المعنية، حتى لا نثقل النص بالإحالة على ذات المصدر بشكل متكرر.

كما أننا ألحقنا في آخر المقال نص المدونة باللغة الإنجليزية لمن أراد الرجوع إلى الأصل، لكننا نشير إلى أن الترجمة الفرنسية – أخذا بعين الاعتبار الأوضاع وقتئذ – كانت من أولى الترجمات الصادرة عن الوسط المسيحي وصرف لها جانب هام من العناية، واعتمدنا أقدمها لترجمة النص للعربية.

ولقد اجتنبنا كذلك الإشارة إلى مختلف الدراسات التاريخية والمعاصرة المتعلقة بالنص وظروفه التاريخية لتعددها وكثرتها.

١. ٦ ,٥ ,٤) ١٨٤٦ novembre ٩ ,Encyclique Qui pluribus، ٧، ١٦، ٤٠، ٦٣، ٧٤).

٢. ١٨٤٧ octobre ٤ ,Allocution Quis vestrum (٦٣).

٣. ١٨٤٧ décembre ١٧ ,Allocution Uni primum (١٦).

٤. ٤٠) ١٨٤٩ avril ٢٠ .Allocution Quibus quantisque، ٦٤، ٧٦).

٥. Encyclique Noscitis et Nobiscum aux archevêques et évêques d'Italie, ٨ décembre ١٨٤٩ ,١٨, ٦٣).

٦. ١٨٥٠ mai ٢٠ ,Allocution Si semper antea (١٦).

٧. ١٨٥٠ ١er novembre ,Allocution In consistoriali (٤٣–٤٥).

٨. ١٨٥١ juin ١٠ ,Lettre apostolique Multiplices inter (١٥، ٢١، ٢٣، ٣٠، ٥١، ٥٤، ٦٨، ٧٤).

٩. ١٨٥١ août ٢٢ ,Lettre apostolique Ad apostolicae (٢٤، ٢٥، ٣٤–٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٦٥–٦٧، ٦٩–٧٥).

١٠. Allocution Quibus luctuosissimis, ٥ septembre ١٨٥١ (٤٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١١. Lettre à S.M. le Roi Victor-Emmanuel, ٩ septembre ١٨٥٢ (٧٣).

١٢. Allocution Acerbissimum, ٢٧ septembre ١٨٥٢ (٣١، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٦٧، ٧٣، ٧٤، ٧٨).

١٣. Allocution Singulari quadam, ٩ décembre ١٨٥٤ (٨، ١٧، ١٩).

١٤. Allocution Probe memineritis, ٢٢ janvier ١٨٥٥ (٥٣).

١٥. Allocution Cum saepe, ٢٧ juillet ١٨٥٥ (٥٣).

١٦. Allocution Nemo Vestrum, ٢٦ juillet ١٨٥٥ (٧٧).

١٧. Lettre Singulari quidem aux évêques d'Autriche, ١٧ mars ١٨٥٦ (٤, ١٦).

١٨. Allocution Nunquam fore, ١٥ décembre ١٨٥٦ (٢٦, ٢٨, ٢٩, ٣١, ٤٦, ٥٠, ٥٢, ٧٩).

١٩. Lettre Eximiam à Son Eminence l'archevêque de Cologne, ١٥ juin ١٨٥٧ (٤, ١٦).

٢٠. Lettre apostolique Cum Catholica Ecclesia, ٢٦ mars ١٨٦٠ (٦٣, ٧٦).

٢١. Lettre Dolore baud mediocri à l'évêque de Breslau, ٣٠ avril ١٨٦٠ (١٤).

٢٢. Allocution Novos et ante, ٢٨ septembre ١٨٦٠ (١٩، ٦٢، ٧٦).

٢٣. Allocution, Multis gravibusque, ١٧ décembre ١٨٦٠ (١٩، ٣٧، ٤٣، ٧٣).

٢٤. Allocution Iamdudum, ١٨ mars ١٨٦١ (٣٧, ٦١، ٧٦).

٢٥. Allocution Meminit, ٣٠ septembre ١٨٦١ (٢٠).

٢٦. Allocution consistoriale Maxima quidem, ٩ Juin ١٨٦٢ (١–٧، ١٥، ١٩، ٢٧، ٣٩، ٤٤، ٤٩، ٥٦–٦٠، ٧٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٧. Lettre apostolique Gravissimas inter à l'archevêque de Munich-Frisingue, ١١ décembre ١٨٦٢ (٩- ١١).

٢٨. Encyclique Quanto conficiamur moerore aux évêques d'Italie, ١٠ août ١٨٦٣ (١٧, ٥٨).

٢٩. Encyclique Incredibili à l'archevêque de Santa-Fé-de-Bogota, ١٧ septembre ١٨٦٣ (٢٦).

٣٠. Lettre apostolique Tuas libenter à l'archevêque de Munich-Frisingue, ٢١ décembre ١٨٦٣ (٩, ١٠, ١٢-١٤, ٢٢, ٣٣).

٣١. Lettre Cum non sine à l'archevêque de Fribourg-en-Brisgau, ١٤ juillet ١٨٦٤ (٤٧, ٤٨).

٣٢. Lettre Singularis Nobisque à l'évêque de Mondovi (Piémont) ٢٩ septembre ١٨٦٤ (٣٢).

نص المدونة باللغة الإنجليزية

نظرا لبعدنا عن مكتبتنا الخاصة التي أغنيناها بالمراجع طيلة الثلاثين سنة الماضية، فإننا اكتفينا للدراسة والتحليل بما اصطحبناه معنا من الكتب والأبحاث.

أما الترجمة فقد اعتمدنا أساسا على الترجمة الفرنسية الواردة في الدراسة الموسعة التي قام بها القس لويس بريجي (L. Brigué) (١٩٥٩-١٩٠٠)، والمنشورة ضمن موسوعة اللاهوت الكاثوليكي المرجعية (Dictionnaire de la Théologie Catholique)، (والتي وضع تصميمها وخططها الراهب جون ميشال ألفريد فاكان Jean-Michel-Alfred Vacant (١٨٥٢-١٩٠١)، واستغرق نشرها ما بين ١٩٠٣ إلى ١٩٥١)، المجلد الرابع عشر، صص ٢٨٧٧-٢٩٢٣، والصادر في باريس، سنة ١٩٤١.

النص الإنجليزي موجود بعدة مواقع، منها على سبيل المثال:

http://www.papalencyclicals.net/Pius٠٩/p٩syll.htm

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

PIUS IX THE SYLLABUS OF ERRORS CONDEMNED BY

I. PANTHEISM, NATURALISM AND ABSOLUTE RATIONALISM

١. There exists no Supreme, all-wise, all-provident Being, distinct from the universe, and God is Divine things, and is, identical with the nature of therefore, subject to changes. In effect, God is and in the world, and all things produced in man are God and have the very substance of God, and God is one and the same thing with the world, and, matter, necessity with liberty, therefore, spirit with Allocution -- .good with evil, justice with injustice ."Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢

٢. All action of God upon man and the world is to be .Ibid -- .denied

٣. Human reason, without any reference the sole arbiter of truth and whatsoever to God, is itself, falsehood, and of good and evil; it is law to and suffices, by its natural force, to secure the .nations. -- Ibid welfare of men and of

٤. All the truths of religion proceed from the innate strength of human reason; hence reason is the and ought to ultimate standard by which man can arrive at the knowledge of all truths of every kind. Encyclical "Qui pluribus," Nov. ٩, ١٨٤٦, -- Ibid. and .etc

٥. Divine revelation is imperfect, and therefore continual and indefinite progress, subject to a corresponding with the advancement of human .reason. -- Ibid

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦. The faith of Christ is in opposition to human reason, and divine revelation not only is not useful, but is even hurtful to the perfection of man. -- Ibid.

٧. The prophecies and miracles set forth and recorded in the Sacred Scriptures are the fiction of the poets, and the mysteries of the Christian faith the result of philosophical investigations. In the books of the New Testament there are contained mythical inventions, and Jesus Christ is Himself a myth.

II. MODERATE RATIONALISM

٨. As human reason is placed on a level with religion itself, so theological must be treated in the same manner as philosophical sciences. -- Allocution "Singulari quadam," Dec. ٩, ١٨٥٤.

٩. All the dogmas of the Christian religion are indiscriminately the object of natural science or philosophy, and human reason, enlightened solely in an historical way, is able, by its own natural strength and principles, to attain to the true science of even the most abstruse dogmas; provided only that such dogmas be proposed to reason itself as its object. -- Letters to the Archbishop of Munich, "Gravissimas inter," Dec. ١١, ١٨٦٢, and "Tuas libenter," Dec. ٢١, ١٨٦٣.

١٠. As the philosopher is one thing, and philosophy another, so it is the right and duty of the philosopher to subject himself to the authority which he shall have proved to be true; but philosophy neither can nor ought to submit to any such authority. -- Ibid., Dec. ١١, ١٨٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١١. The Church not only ought never to pass judgment on philosophy, but ought to tolerate the errors of philosophy, leaving it to correct itself. -- Ibid., Dec. ٢١, ١٨٦٣.

١٢. The decrees of the Apostolic See and of the congregations impede the true progress of science. -- Ibid.

١٣. The method and principles by which the old doctors cultivated theology are no longer suitable to the demands of our times and to the progress of the sciences. -- Ibid.

١٤. Philosophy is to be treated without taking any account of supernatural revelation. -- Ibid.

III. INDIFFERENTISM, LATITUDINARIANISM

١٥. Every man is free to embrace and profess that religion which, guided by the light of reason, he shall consider true. -- Allocution "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢; Damnatio "Multiplices inter," June ١٠, ١٨٥١.

١٦. Man may, in the observance of any religion whatever, find the way of eternal salvation, and arrive at eternal salvation. -- Encyclical "Qui pluribus," Nov. ٩, ١٨٤٦.

١٧. Good hope at least is to be entertained of the salvation of all those who are not at all in the true Church of Christ. -- Encyclical "Quanto conficiamur," Aug. ١٠, ١٨٦٣, etc.

١٨. Protestantism is nothing more than another form of the same true Christian religion, in which it is given to please God equally as in the

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Catholic Church. -- Encyclical "Noscitis," Dec. ٨, ١٨٤٩.

IV. SOCIALISM, COMMUNISM, SECRET SOCIETIES, SOCIETIES, CLERICO-LIBERAL BIBLICAL SOCIETIES

Pests of this kind are frequently reprobated in the terms in the Encyclical "Qui pluribus," severest quantisque," April Nov. ٩, ١٨٤٦, Allocution "Quibus ٢٠, ١٨٤٩, Encyclical "Noscitis et nobiscum," Dec. ٨, Allocution "Singulari quadam," Dec. ٩, ١٨٥٤, ،١٨٤٩ Aug. ١٠, ١٨٦٣ "،Encyclical "Quanto conficiamur.

V. ERRORS CONCERNING THE CHURCH AND HER RIGHTS

١٩. The Church is not a true and perfect society, free- nor is she endowed with proper and entirely upon her by perpetual rights of her own, conferred her Divine Founder; but it appertains to the civil what are the rights of the Church, power to define those and the limits within which she may exercise rights. -- Allocution "Singulari quadam," Dec. ٩, ١٨٥٤, etc.

٢٠. The ecclesiastical power ought not to exercise authority without the permission and assent of its Allocution "Meminit –– .the civil government unusquisque," Sept. ٣٠, ١٨٦١.

٢١. The Church has not the power of defining that the religion of the Catholic dogmatically Church is the only true religion. -- Damnatio Multiplices inter," June ١٠, ١٨٥١".

٢٢. The obligation by which Catholic teachers and strictly bound is confined to those authors are belief things only which are proposed to universal

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

as dogmas of faith by the infallible judgment of the the Archbishop of Munich, Church. -- Letter to "Tuas libenter," Dec. ٢١, ١٨٦٣.

٢٣. Roman pontiffs and ecumenical councils have outside the limits of their powers, have wandered even erred usurped the rights of princes, and have in defining matters of faith and morals. -- inter," June ١٠, ١٨٥١ Damnatio "Multiplices.

٢٤. The Church has not the power of using force, any temporal power, direct or indirect. nor has she ،" -- Apostolic Letter "Ad Apostolicae Aug. ٢٢, ١٨٥١.

٢٥. Besides the power inherent in the episcopate, temporal power has been attributed to it by other explicitly or the civil authority granted either tacitly, which on that account is revocable by the whenever it thinks fit. -- Ibid civil authority.

٢٦. The Church has no innate and legitimate right of acquiring and possessing property. -- Allocution Encyclical ؛"Nunquam fore," Dec. ١٥, ١٨٥٦ "Incredibili," Sept. ٧, ١٨٦٣.

٢٧. The sacred ministers of the Church and the are to be absolutely excluded from Roman pontiff affairs. -- every charge and dominion over temporal Allocution "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢.

٢٨. It is not lawful for bishops to publish even Apostolic without the permission of letters Dec. ١٥, "، Government. -- Allocution "Nunquam fore ١٨٥٦.

٢٩. Favours granted by the Roman pontiff ought to considered null, unless they have been sought be for through the civil government. -- Ibid.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٠. The immunity of the Church and of ecclesiastical derived its origin from civil law. -- persons Damnatio "Multiplices inter," June ١٠، ١٨٥١.

٣١. The ecclesiastical forum or tribunal for the causes, whether civil or criminal, of temporal abolished, even clerics, ought by all means to be without consulting and against the protest of the Allocution "Nunquam fore," Dec. ١٥, -- .Holy See ١٨٥٦، ١٨٥٢; Allocution "Acerbissimum," Sept. ٢٧.

٣٢. The personal immunity by which clerics are from military conscription and service exonerated violation in the army may be abolished without either of natural right or equity. Its abolition is civil progress, especially in a society called for by government. -- framed on the model of a liberal Letter to the Bishop of Monreale "Singularis nobisque," Sept. ٢٩، ١٨٦٤.

٣٣. It does not appertain exclusively to the power ecclesiastical jurisdiction by right, proper and of of theological innate, to direct the teaching questions. -- Letter to the Archbishop of Munich, "Tuas libenter," Dec. ٢١, ١٨٦٣.

٣٤. The teaching of those who compare the to a prince, free and acting in the Sovereign Pontiff prevailed in universal Church, is a doctrine which the Middle Ages. -- Apostolic Letter "Ad Apostolicae," Aug. ٢٢، ١٨٥١.

٣٥. There is nothing to prevent the decree of a council, or the act of all peoples, from general from the transferring the supreme pontificate bishop and city of Rome to another bishop and another city. -- Ibid.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٦. The definition of a national council does not admit of any subsequent discussion, and the civil authority car assume this principle as the basis of its acts. -- Ibid.

٣٧. National churches, withdrawn from the authority of the Roman pontiff and altogether separated, can be established. -- Allocution "Multis gravibusque," Dec. ١٧, ١٨٦٠.

٣٨. The Roman pontiffs have, by their too arbitrary conduct، contributed to the division of the Church into Eastern and Western. -- Apostolic Letter "Ad Apostolicae," Aug. ٢٢, ١٨٥١.

VI. ERRORS ABOUT CIVIL SOCIETY, CONSIDERED IN ITS RELATION TO THE CHURCH BOTH IN ITSELF AND

٣٩. The State, as being the origin and source of all rights، is endowed with a certain right not circumscribed by any limits. -- Allocution "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢.

٤٠. The teaching of the Catholic Church is hostile to the well- being and interests of society. -- Encyclical "Qui pluribus," Nov. ٩، ١٨٤٦؛ Allocution "Quibus quantisque," April ٢٠, ١٨٤٩.

٤١. The civil government, even when in the hands of an infidel sovereign, has a right to an indirect negative power over religious affairs. It therefore possesses not only the right called that of "exsequatur"، but also that of appeal, called "appellatio ab abusu." -- Apostolic Letter "Ad Apostolicae," Aug. ٢٢, ١٨٥١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٢. In the case of conflicting laws enacted by the powers, the civil law prevails. -- Ibid two.

٤٣. The secular Dower has authority to rescind, render null, solemn conventions, declare and the commonly called concordats, entered into with Apostolic See, regarding the use of rights immunity, without appertaining to ecclesiastical the consent of the Apostolic See, and even in spite protest. -- Allocution "Multis gravibusque," of its consistoriali," Nov. ١, Dec. ١٧, ١٨٦٠; Allocution "In ١٨٥٠.

٤٤. The civil authority may interfere in matters religion, morality and spiritual relating to government: hence, it can pass judgment on the instructions issued for the guidance of consciences, mission, by the pastors of conformably with their the Church. Further, it has the right to make enactments regarding the administration of the dispositions necessary divine sacraments, and the for receiving them. -- Allocutions "In consistoriali," Nov. ١, ١٨٥٠, and "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢.

٤٥. The entire government of public schools in youth- of a Christian state is educated, which the case of episcopal except (to a certain extent) in the seminaries, may and ought to appertain to the civil belong to it so far that no other power, and having authority whatsoever shall be recognized as any right to interfere in the discipline of the of the studies, the schools, the arrangement conferring of degrees, in the choice or approval of teachers. -- Allocutions "Quibus the consistoriali," luctuosissimis," Sept. ٥, ١٨٥١, and "In Nov. ١, ١٨٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤٦. Moreover, even in ecclesiastical seminaries, the method of studies to be adopted is subject to the civil authority. -- Allocution "Nunquam fore," Dec. ١٥, ١٨٥٦.

٤٧. The best theory of civil society requires that popular schools open to children of every class of public institutes intended for instruction in letters and philosophical sciences and for carrying on the education of ecclesiastical youth, should be freed from all authority, control and interference, and should be fully subjected to the civil and political power at the pleasure of the rulers, and according to the standard of the prevalent opinions of the age. -- Epistle to the Archbishop of Freiburg, "Cum non sine," July ١٤, ١٨٦٤.

٤٨. Catholics may approve of the system of education unconnected with Catholic faith and the power of the Church, and which regards only, or at least primarily, the knowledge of merely natural things, and the ends of earthly social life. -- Ibid.

٤٩. The civil power may prevent the prelates of the Church and the faithful from communicating freely and mutually with the Roman pontiff. -- Allocution "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢.

٥٠. Lay authority possesses of itself the right of presenting bishops, and may require of them to undertake the administration of the diocese before they receive canonical institution, and the Letters Apostolic from the Holy See. -- Allocution "Nunquam fore," Dec. ١٥, ١٨٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥١. And, further, the lay government has the right deposing bishops from their pastoral functions, of Roman pontiff in and is not bound to obey the those things which relate to the institution of the appointment of bishops. -- bishoprics and Allocution "Acerbissimum," Sept. ٢٧, ١٨٥٢؛ Damnatio "Multiplices inter," June ١٠, ١٨٥١.

٥٢. Government can, by its own right, alter the age prescribed by the Church for the religious require of profession of women and men; and may all religious orders to admit no person to take its permission. -- Allocution solemn vows without "Nunquam fore," Dec. ١٥, ١٨٥٦.

٥٣. The laws enacted for the protection of religious and regarding their rights and duties ought orders Government may to be abolished; nay, more, civil lend its assistance to all who desire to renounce a which they have undertaken of the obligation Government religious life, and to break their vows. may also suppress the said religious orders, as churches and simple benefices, likewise collegiate even those of advowson and subject their property and revenues to the administration and pleasure of Allocutions "Acerbissimum," -- the civil power. Sept. ٢٧, ١٨٥٢; "Probe memineritis," Jan. ٢٢, ١٨٥٥؛ Cum saepe," July ٢٦, ١٨٥٥".

٥٤. Kings and princes are not only exempt from the jurisdiction of the Church, but are superior to the of jurisdiction. -- Church in deciding questions Damnatio "Multiplices inter," June ١٠, ١٨٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥٥. The Church ought to be separated from the State, and the State from the Church. -- Allocution "Acerbissimum," Sept. ٢٧, ١٨٥٢.

VII. ERRORS CONCERNING NATURAL AND CHRISTIAN ETHICS

٥٦. Moral laws do not stand in need of the divine sanction، and it is not at all necessary that human laws should be made conformable to the laws of nature and receive their power of binding from God. -- Allocution "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢.

٥٧. The science of philosophical things and morals and also civil laws may and ought to keep aloof from divine and ecclesiastical authority. -- Ibid.

٥٨. No other forces are to be recognized except those which reside in matter, and all the rectitude and excellence of morality ought to be placed in the accumulation and increase of riches by every possible means, and the gratification of pleasure. -- Ibid.; Encyclical "Quanto conficiamur," Aug ١٠، ١٨٦٣.

٥٩. Right consists in the material fact. All human duties are an empty word, and all human facts have the force of right. -- Allocution "Maxima quidem," June ٩, ١٨٦٢.

٦٠. Authority is nothing else but numbers and the sum total of material forces. -- Ibid.

٦١. The injustice of an act when successful inflicts no injury on the sanctity of right. -- Allocution "Jamdudum cernimus," March ١٨، ١٨٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦٢. The principle of non-intervention, as it is called, to be proclaimed and observed. -- Allocution ought "Novos et ante," Sept. ٢٨, ١٨٦٠.

٦٣. It is lawful to refuse obedience to legitimate and even to rebel against them. -- princes، Encyclical "Qui pluribus," Nov. ٩, ١٨٦٤؛ Allocution "Quibusque vestrum," Oct. ٤, ١٨٤٧; "Noscitis et Nobiscum," Dec. ٨، ١٨٤٩؛ Apostolic Letter "Cum Catholica."

٦٤. The violation of any solemn oath, as well as any and flagitious action repugnant to the wicked is eternal law, is not only not blamable but altogether lawful and worthy of the highest praise country. -- Allocution when done through love of "Quibus quantisque," April ٢٠, ١٨٤٩.

VIII. ERRORS CONCERNING CHRISTIAN MARRIAGE

٦٥. The doctrine that Christ has raised marriage to dignity of a sacrament cannot be at all the Apostolicae," Aug. tolerated. -- Apostolic Letter "Ad ٢٢, ١٨٥١.

٦٦. The Sacrament of Marriage is only a something to the contract and separate from it, and accessory nuptial the sacrament itself consists in the benediction alone. -- Ibid.

٦٧. By the law of nature, the marriage tie is not indissoluble, and in many cases divorce properly so civil authority. -- called may be decreed by the Ibid.; Allocution "Acerbissimum," Sept. ٢٧, ١٨٥٢.

٦٨. The Church has not the power of establishing impediments of marriage, but such a diriment

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

which power belongs to the civil authority by existing impediments are to be removed. -- Damnatio "Multiplices inter"، ١٠, ١٨٥١ June.

٦٩. In the dark ages the Church began to establish impediments, not by her own right, but by diriment using a power borrowed from the State --. Apostolic Letter "Ad Apostolicae," Aug. ٢٢, ١٨٥١.

٧٠. The canons of the Council of Trent, which anathematize those who dare to deny to the Church the right of establishing diriment impediments, either are not dogmatic or must be borrowed power. -- understood as referring to such Ibid.

٧١. The form of solemnizing marriage prescribed by Council of Trent, under pain of nullity, does not bind in cases where the civil law lays down another form, and declares that when this new form is used marriage shall be valid the.

٧٢. Boniface VIII was the first who declared that chastity taken at ordination renders the vow of marriage void. -- Ibid.

٧٣. In force of a merely civil contract there may between Christians a real marriage, and it is exist false to say either that the marriage contract between Christians is always a sacrament, or that contract if the sacrament be excluded. - there is no Sept. ٩, ١٨٥٢; - Ibid.; Letter to the King of Sardinia Allocutions "Acerbissimum," Sept. ٢٧, ١٨٥٢, "Multis gravibusque"، Dec. ١٧, ١٨٦٠.

٧٤. Matrimonial causes and espousals belong by their nature to civil tribunals. -- Encyclical "Qui

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Multiplices inter," " pluribus," Nov. ٩ ١٨٤٦; Damnatio June ١٠, ١٨٥١, "Ad Apostolicae," Aug. ٢٢, ١٨٥١; .Acerbissimum," Sept. ٢٧, ١٨٥٢" Allocution

IX. ERRORS REGARDING THE CIVIL POWER OF THE SOVEREIGN PONTIFF

٧٥. The children of the Christian and Catholic divided amongst themselves about the Church are spiritual compatibility of the temporal with the .power. -- "Ad Apostolicae," Aug. ٢٢, ١٨٥١

٧٦. The abolition of the temporal power of which Apostolic See is possessed would contribute in the liberty and prosperity of the greatest degree to the the Church. -- Allocutions "Quibus quantisque," .Si semper antea," May ٢٠, ١٨٥٠" ،١٨٤٩ ،٢٠ April

X. ERRORS HAVING REFERENCE TO MODERN LIBERALISM

٧٧. In the present day it is no longer expedient that Catholic religion should be held as the only the exclusion of all other religion of the State, to the forms of worship. -- Allocution "Nemo vestrum," .١٨٥٥ ،July ٢٦

٧٨. Hence it has been wisely decided by law, in countries, that persons coming to some Catholic of reside therein shall enjoy the public exercise their own peculiar worship. -- Allocution ."Acerbissimum," Sept. ٢٧, ١٨٥٢

٧٩. Moreover, it is false that the civil liberty of every form of worship, and the full power, given to all, of manifesting any opinions overtly and publicly whatsoever and thoughts, conduce more easily to the morals and minds of the people, and to corrupt

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

Allocution –– .propagate the pest of indifferentism ."Nunquam fore," Dec. ١٥, ١٨٥٦

The Roman Pontiff can, and ought to, reconcile .٨٠ and come to terms with progress, ،himself Allocution – –.liberalism and modern civilization ."Jamdudum cernimus," March ١٨, ١٨٦١